
حكايات
من ألف ليلة وليلة


السنابل
الحكايات اللطيفة

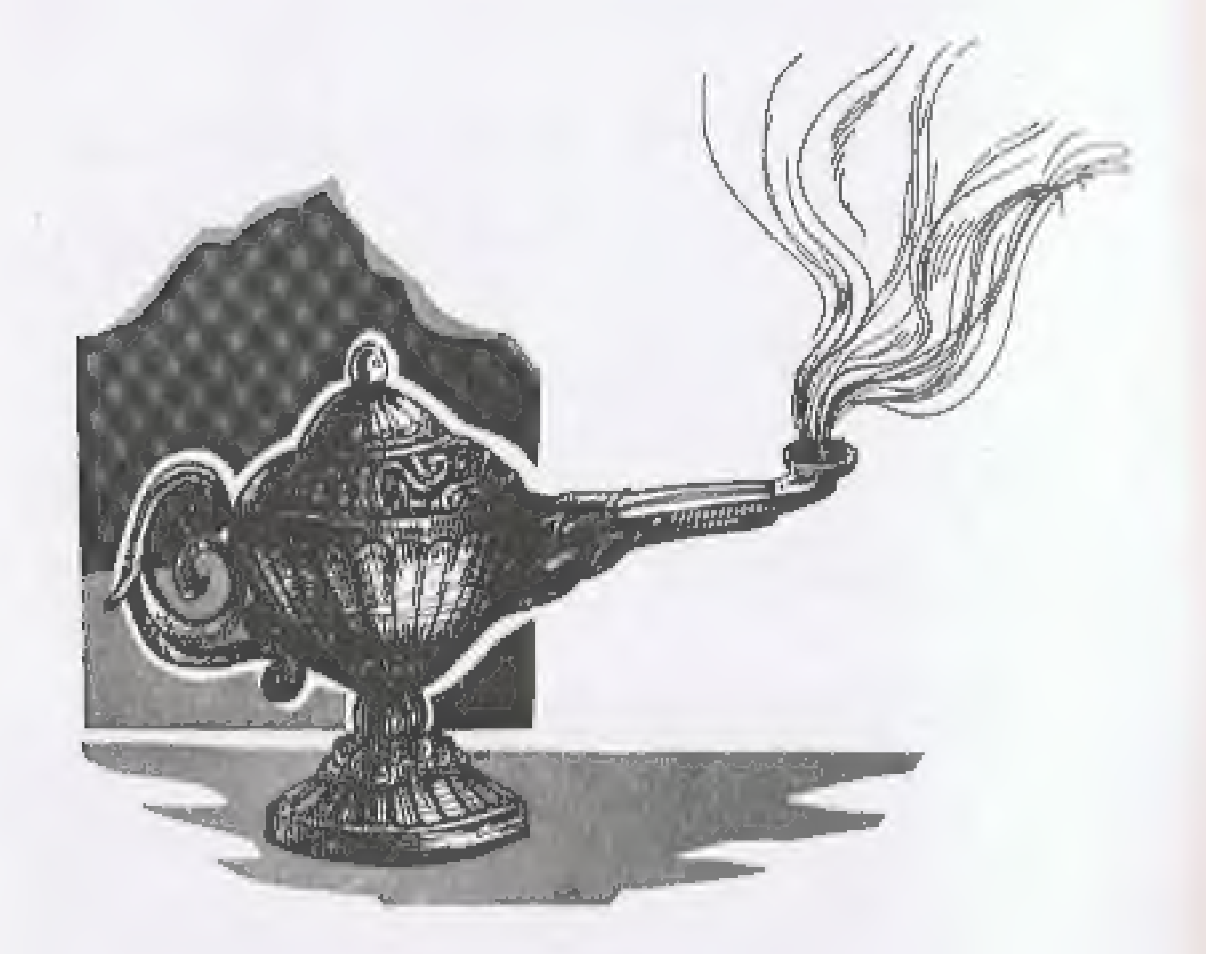
١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة

الطبعة الثانية
رقم الإيداع : ٢٣٠٤ / ٨٨
الترقيم الدولى : ISBN ٩٧٧-١٤٤٥-٦٢-٦

طبع بمطابع دار المعارف - القاهرة

الحكايات اللطيفة

حكايات مِن ألف لَيلة ولَيلة



إعداد : حامد علي عطاري

رسوم : حسن عبد الستار

مكتبة لبنان
بيروت

الفصلُ الأوَّلُ

السُّلطانُ شهريارُ و شهرزاد

يُحكى أنَّهُ في قديمِ الزَّمانِ ، عاشَ سُلطانٌ اسمُهُ شهريارُ ، كانَتْ لَهُ زوجةٌ جميلةٌ ، أَوْلاها صادِقَ حُبِّهِ ، وَأَغْدَقَ عليها الهدايا ، وَوَفَّرَ لها ما تَطْلُبُ .

مَضَتِ الأعوامُ وَهُما في أسعَدِ حالٍ ، وَأَهْدَإِ بالٍ . إلى أنِ اكتَشَفَ ذاتَ يَوْمٍ أنَّها تَخونُهُ ، فأمَرَ وَزيرَهُ بِقَتْلِها .

بَيَّتَ السُّلطانُ في نَفْسِهِ أمْرًا ، إذْ صَمَّمَ على الانتِقامِ مِنْ بَناتِ حَوّاءَ ، وَنَظَرَ إلى وَزيرِهِ قائِلًا : « إعلَمْ ياوَزيري ، أنَّ جميعَ النِّساءِ لا خَيْرَ فيهِنَّ ، وَأنّي عازِمٌ على الزَّواجِ مِنْ فَتاةٍ كُلَّ يَوْمٍ ، أقْتُلُها في صَبيحةِ اليَوْمِ التّالي . »

اِتَّخَذَ شهريارُ كُلَّ لَيْلةٍ زَوْجةً لِيَقْتُلَها في الصَّباحِ . وَراحَ النّاسُ يَهْرُبونَ بِبَناتِهِمْ مِنَ المَدينةِ خَوْفًا مِنَ المَصيرِ المُفْجِعِ الَّذي يَنْتَظِرُ كُلَّ فَتاةٍ يَتَزَوَّجُها السُّلطانُ .

وكانَ لِلْوَزيرِ ابْنَتانِ كُبراهُما اسْمُها : شهرزادُ . وَكانَتْ ذاتَ جَمالٍ فاتِنٍ ، وَشَجاعةٍ فائِقةٍ ، وَذَكاءٍ نادِرٍ . أمّا الصُّغْرى فكانَ اسْمُها : دُنيازاد . وَاشْتَهَرَتْ بِسُمُوِّ أخلاقِها ، وَشِدَّةِ حُبِّها لِأُخْتِها شهرزاد .

ذاتَ يَوْمٍ قالَتْ شهرزادُ لِأبيها : « والِدي العَزيزَ ، هَلْ تَعِدُني بِأنْ تُلَبِّيَ ما أطْلُبُهُ مِنْكَ ؟ أسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ أنْ تُحَقِّقَ لي مَطْلَبي . »

أجابَها والِدُها : « تَعْلَمينَ ، ياشهرزادُ ، أنّي لَنْ أبْخَلَ عَلَيْكِ بِما يُحَقِّقُ لَكِ السَّعادةَ في دُنْياكِ . اُطْلُبي ما شِئْتِ وَسَتَجِدينَني طَوْعَ رَغْبَتِكِ . »

عِنْدَئِذٍ صارَحَتْ شهرزادُ أباها بِرَغْبَتِها فَقالَتْ : « لَنْ أشْعُرَ بِالسَّعادةِ ياأبي ، مادُمْتُ أرى السُّلطانَ شهريارَ يَقْتُلُ كُلَّ مَنْ يَتَزَوَّجُها في صَبيحةِ اليَوْمِ التّالي . لَقَدْ أمَرَكَ السُّلطانُ أنْ تَبْحَثَ لَهُ عَنْ زَوْجةٍ في كُلِّ يَوْمٍ ، وَإنّي شَديدةُ الرَّغْبةِ في أنْ أكونَ زَوْجةَ شهريار . هَلْ لي أنْ أطْمَحَ إلى مُوافَقَتِكَ على ذلِكَ ؟ »

لكِنَّ الوَزيرَ مانَعَ في ذلِكَ ، وَقالَ لَها : « كَيْفَ أفْعَلُ ذلِكَ ؟ هَلْ مِنَ المَعْقولِ أنْ أقودَ ابْنَتي إلى مَوْتِها ؟ لا .. لا . لَنْ أُقْدِمَ على ذلِكَ . » لكِنَّ شهرزادَ لَمْ تَيْأسْ مِنْ إقْناعِهِ ، بَلْ كَلَّمَتْهُ ، بِكُلِّ شَجاعةٍ ، قائِلةً :

« لَقَدْ وَعَدْتَني أنْ تُلَبِّيَ مَطْلَبي ، وَوَعْدُ الحُرِّ دَيْنٌ عَلَيْهِ . وَكُلّي أمَلٌ أنْ تَكونَ عِنْدَ وَعْدِكَ . »



وافقَ الوزيرُ كارهًا ، وقالَ لابنتِهِ : « يعزُّ عليَّ أنْ أقطعَ على نفسي عهدًا ولا أفي بِهِ . وهأنذا أنزلُ على رغبتِكِ لتكوني زوجةَ السُّلطانِ . »

استدعتْ شهرزادُ شقيقتَها دنيازادُ وقالتْ لها : « عندما أذهبُ إلى بيتِ السُّلطانِ سأصطحبُكِ ، بعدَ استئذانِهِ . وعليكِ أنْ تطلبي منّي أنْ أُسمعَكِ كلَّ ليلةٍ إحدى القصصِ الطريفةِ المسلّيةِ وسأفعلُ ذلكَ . ولكنّي سأتوقّفُ عنْ حكايةِ القصّةِ قبلَ شروقِ الشّمسِ ، فيضطرُّ شهريارُ إلى السّماحِ لي بأنْ أكملَها في اللّيلةِ التّاليةِ . وبهذا أطيلُ حياتي ليلةً بعدَ ليلةٍ ، ولعلَّ شهريارَ يرجعُ يومًا عمّا أزمعَ ، أوْ يهديني اللهُ إلى وسيلةٍ أمنعُ بها شرَّهُ عنْ فتياتِ المدينةِ . »

في اليومِ التّالي تمَّ زفافُ شهرزادَ إلى السُّلطانِ شهريار . وذهبتْ إلى القصرِ وصحبتْها أختُها دنيازادُ . وقبلَ شروقِ الشّمسِ بقليلٍ ، أرسلَ شهريار جنديًّا يستدعي السّيّافَ مسرورًا لقتلِ شهرزاد ، عندئذٍ دخلتْ دنيازادُ على شهرزاد وشهريار ، وقالتْ لأختِها : « أختاهُ ! لقدْ جفاني النّومُ ، وأراكما لا ترغبانِ في النّومِ أيضًا . هلْ لكِ أنْ تُسمعيني حكايةً لطيفةً منْ حكاياتِكِ الشّائقةِ ، كما عوّدتِني دائمًا ؟ »

قالتْ شهرزادُ: « إذا رغبَ السُّلطانُ في ذلكَ . »

قالَ شهريارُ : « لِمَ لا ؟ لكما ذلكَ . » ثُمَّ قالَ في نفسِهِ : إنّها حكايتُكِ الأخيرةُ في هذهِ الدّنيا ياشهرزادُ .

وبدأتْ شهرزادُ في سردِ أولى حكاياتِ « ألفِ ليلةٍ وليلةٍ » .

الفصلُ الثّاني

الرّجلُ الثّريُّ والجنّيُّ

يُحكى أنّهُ عاشَ في أحدِ البلدانِ رجلٌ ثريٌّ جدًّا ، جمعَ الكثيرَ منَ الأموالِ وامتلكَ الأراضيَ والبيوتَ . خرجَ ذلكَ الثّريُّ يومًا في رحلةٍ إلى مدينةٍ نائيةٍ ، لقضاءِ بعضِ أعمالِهِ التّجاريّةِ ، وحملَ معَهُ في رحلتِهِ ما يحتاجُ إليهِ منْ ماءٍ وسلّةً ملأها بالخبزِ والتّمرِ .

اشتدّتْ حرارةُ الشّمسِ فلجأَ إلى ظلِّ شجرةٍ قريبةٍ منْ شاطئِ نهرٍ وجلسَ . وعندما شعرَ بالجوعِ ، مدَّ يدَهُ إلى السّلّةِ وأخرجَ منها كسرةً منَ الخبزِ وبضعَ حبّاتٍ منَ التّمرِ . وكانَ كلّما أكلَ تمرةً رمى النّواةَ خلفَ ظهرِهِ .

ولمّا انتهى منْ تناولِ طعامِهِ ، قصدَ النّهرَ وغسلَ وجهَهُ ويديْهِ بماءِ النّهرِ ، وحمدَ اللهَ على نعمتِهِ . وفيما هوَ يستعدُّ للنّهوضِ ، التفتَ وراءَهُ فرأى جنّيًّا واقفًا ، والشّررُ يكادُ يتطايرُ منْ عينيْهِ ، وصرخَ الجنّيُّ فيهِ صرخةً مدوّيةً قائلًا : « سأقتلُكَ . »

تساءلَ الرّجلُ الثّريُّ مذعورًا : « لِمَ تريدُ قتلي ؟ أيُّ ذنبٍ ارتكبتُ ؟ »

أجابَ الجنّيُّ : « لقدْ قتلتَ ولدي . »

صاحَ الرّجلُ الثّريُّ : « كيفَ قتلتُ ولدَكَ ، وأنا لمْ أرَهُ في حياتي ؟ »



قالَ الجِنّيُّ : « أَلَمْ تَكُنْ جالِسًا تَحْتَ تِلْكَ الشَّجَرةِ وأَخرَجْتَ كِسْرةً مِنَ الخُبْزِ وبَعْضَ التَّمْرِ مِنَ السَّلَّةِ ، وأَخَذْتَ تُلْقي بِالنَّوى خَلْفَ ظَهْرِكَ ؟ »

قالَ الرَّجُلُ الثَّرِيُّ : « بَلى ، فَعَلْتُ ذٰلِكَ . »

قالَ الجِنّيُّ : « مَرَّ وَلَدي وَراءَكَ مُصادَفَةً ، دونَ أَنْ تَراهُ ، فَأَصابَتْهُ نَواةٌ في عَيْنِهِ ، فَماتَ في الحالِ ؛ لِهٰذا سَأَنْتَقِمُ لِوَلَدي مِنْكَ أَشَدَّ الاِنْتِقامِ . »

قالَ الرَّجُلُ الثَّرِيُّ : « لا تُؤاخِذْني بِذَنْبٍ لَمْ أَقْصِدْهُ . أَما فَكَّرْتَ ، كَيْفَ يَكونُ حالُ زَوْجَتي وَأَوْلادي بَعْدَ مَوْتي ؟ مَنِ الَّذي سَيَرْعاهُمْ ؟ »



هُنا نَظَرَتْ شَهْرَزادُ إِلى النّافِذَةِ وصاحَتْ قائِلَةً : « يا إِلٰهي ، لَقَدْ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ . عَلَيَّ الآنَ أَنْ أَتَوَقَّفَ عَنِ الكَلامِ ، فَعَمّا قَليلٍ يَأْمُرُ السُّلْطانُ بِقَتْلي . » وَلٰكِنَّ دُنْيازاد الَّتي اسْتَهْوَتْها القِصَّةُ أَلَحَّتْ عَلَيْها قائِلَةً : « أُخْتي الحَبيبَةَ ، إِنَّ حِكايَتَكِ طَريفَةٌ وَعَجيبَةٌ . أَرْجوكِ أَنْ تُكْمِليها . »

أَجابَتْها شَهْرَزادُ : « لا أَسْتَطيعُ ذٰلِكَ ، ما لَمْ يَتَعَطَّفِ السُّلْطانُ وَيَمُدَّ في حَياتي يَوْمًا آخَرَ . »

وَما أَسْرَعَ ما أَجابَها السُّلْطانُ قائِلًا : « لَكِ ذٰلِكَ يا شَهْرَزادُ . سَأَنْتَظِرُ

حتّى عُدْ لأسمعَ مِنكِ بقيّةَ قِصّتِكِ . لكَمْ أعجبتْني ، وإنّي لَفي شَوْقٍ لِسَماعِها ! »

في اللّيلةِ التّاليةِ واصلَتْ شهرزادُ حِكايتَها فقالَتْ :

عِندَما أدرَكَ الرّجُلُ الثّريُّ أنّ الجِنّيَّ مُصمّمٌ على قَتْلِهِ قالَ لَهُ : « أيُّها الجِنّيُّ الجبّارُ ، أرجوكَ أنْ تُمهِلَني بعضَ الوقتِ حتّى أعودَ إلى بيتي لأرى زَوجتي وأولادي ، وأتدبّرَ شؤونَ معيشتِهِمْ مِن بعدي . وسأعودُ إليكَ في نفسِ هذا المكانِ . »

سألَهُ الجِنّيُّ : « كَمْ مِنَ الوقتِ تُريدُني أنْ أُمهِلَكَ ؟ »

أجابَ الرّجُلُ الثّريُّ : « أمهِلْني عامًا واحدًا ، وسأعودُ إليكَ بعدَ تمامِهِ ، واللهُ على ما أقولُ شهيدٌ . »

وَثِقَ الجِنّيُّ بكلامِهِ ، وقالَ لَهُ : « لِيكُنْ لكَ ذلكَ . »

عادَ الرّجُلُ الثّريُّ إلى أهلِهِ ، وقصَّ عليهِمْ ما جرى لَهُ ، وأقامَ عِندَهُمْ عامًا تدبّرَ فيهِ شؤونَ معيشتِهِمْ بعدَ موتِهِ . ولمّا حانَ الموعِدُ ، جمعَ أهلَهُ وودّعَهُمُ الوداعَ الأخيرَ ، ثُمّ انطلقَ إلى المكانِ المُحدّدِ .

بينَما هوَ جالسٌ تحتَ الشّجرةِ يبكي سوءَ حظِّهِ ، إذا بشيخٍ طاعنٍ في السّنِّ مُقبلٌ عليهِ ومعَهُ غزالةٌ . تعجّبَ الشّيخُ لرؤيةِ الثّريِّ وحيدًا في ذلكَ المكانِ ، وسألَهُ :

« ما الّذي جاءَ بكَ إلى هذا المكانِ ؟ ألا تعلَمُ أنّهُ مأوى للجنِّ ؟ هلْ جئتَ تبحثُ عنْ حتفِكَ ؟ »

تنهّدَ الثّريُّ ، والدّموعُ تتساقطُ مِنْ عينيْهِ ، وأخبرَهُ بما جرى لَهُ معَ

الجِنّيِّ ، وأنّهُ بانتظارِ قدومِهِ لِيُنفّذَ فيهِ الجِنّيُّ القتلَ انتقامًا لولدِهِ .

تعجّبَ الشّيخُ مِمّا سمِعَ ، وأشفقَ عليهِ وصمّمَ ألّا يبرحَ المكانَ حتّى يرى ما سيحدُثُ لَهُ . وبينما هُما جالسانِ تحتَ الشّجرةِ ، إذا بشخصٍ يُقبِلُ عليهِما يقودُ كلبتيْنِ سوداويْنِ . ولمّا بلغَ مكانَهُما ، حيّاهُما واستفسرَ منهُما عنْ سببِ وجودِهِما في ذلكَ المكانِ الموحشِ المأهولِ بالجنِّ . وما إنْ علِمَ بقصّةِ الثّريِّ معَ الجِنّيِّ ، حتّى صمّمَ ألّا يُغادرَ المكانَ حتّى يرى ما سيحدُثُ بينهُما .

وفيما هُمْ يرقُبونَ الجِنّيَّ رأوْا مِنْ بعيدٍ سحابةً داكنةً مِنَ الغُبارِ تتّجهُ نحوَهُمْ ، ثُمّ انقشعَتْ عنِ الجِنّيِّ الّذي انتصبَ أمامَهُمْ ، بعينيْنِ يتطايرُ منهُما الشّررُ ، وبوجهٍ عبوسٍ يكشِفُ عنْ حُبِّ الانتقامِ . وصرخَ الجِنّيُّ في الثّريِّ قائلًا : « انهضْ ، أيُّها المُجرِمُ فإنّي قاتِلُكَ لا مَحالةَ ، كما قتلْتَ ولَدي . »

خافَ الرّجلانِ ، وأخذا يبكيانِ ويرجوانِ الجِنّيَّ أنْ يصفحَ عنِ الثّريِّ ، ويُبقيَ على حياتِهِ ، رأفةً بزوجتِهِ وأولادِهِ . ولكنّ قلبَ الجِنّيِّ كانَ قاسيًا كالصّخرِ .

تقدّمَ منهُ الشّيخُ الأوّلُ ، ورمى بنفسِهِ على قدميْهِ مُستعطِفًا ، ثُمّ قالَ لَهُ : « ياعظيمَ الجانِّ ، أرجوكَ أنْ تسمعَني . سأقُصُّ عليكَ حِكايتي معَ هذهِ الغزالةِ . هلْ تعِدُني بأنْ تهبَ للرّجُلِ نِصفَ حياتِهِ لوْ وجدْتَ قِصّتي عجيبةً ، ولقيَتْ منكَ القبولَ ؟ »

أجابَ الجِنّيُّ : « حسنًا ! لكَ عليَّ ذلكَ ، إنْ كانتْ قِصّتُكَ غريبةً عجيبةً . »

الفصل الثالث

حكاية الشيخ الأول و الغزالة

بعد أن حمد الله على نعمته ، وصلّى على نبيّه ، التفت الشيخ إلى الجنّي وقال له :

إعلم أيها الجنّي ، أنّ الغزالة التي تراها ما هي إلا زوجتي ، ورفيقة عمري ، ترافقني في سفري . تزوّجتها من سنوات ، ولكنّي لم أرزق منها بولد يكون قرّة عيوننا ، وفاكهة حياتنا الزوجيّة .

وكان لإحدى خادماتنا صبيّ جميل الطلعة ، قويّ البنية ، اتّخذت منه ولدًا يرثني من بعدي ، ويملأ عليّ حياتي ، وأحببته حبًا كما لو كان ابني حقًا .



وتمرّ الأعوام ، وأصبح ولدي شابًا يافعًا ، فارع الطول تبدو عليه سمات النجابة . وقد كانت سعادتي بابني تكبر معه ؛ غير أنّ زوجتي لم تكن سعيدة ، فقد كانت الغيرة تنهش قلبها كلّما رأت ابني يملأ عليّ حياتي .

حدث ذات يوم أن اقتضت الظروف أن أخرج في سفر طويل . وقبل رحيلي أوصيت زوجتي خيرًا بولدي وأمّه ريثما أعود . لكن ما إن سافرت ، حتى لجأت زوجتي إلى ساحرة تعلّمت منها فنون السحر ، وبرعت فيه ، وعادت إلى ولدي وسحرته عجلًا ، وإلى أمّه فحوّلتها إلى بقرة ، ثم أرسلتهما إلى حظيرة الماشية .



لَمّا عُدْتُ مِن سَفَري لَمْ أَجِدْ وَلَدي أَوْ أُمَّهُ ، فَسَأَلْتُ زَوْجَتي عَنْهُما فَادَّعَتْ أَنَّ الوَلَدَ خَرَجَ مُنْذُ شَهْرَيْنِ ــ دُونَ عِلْمِها ــ وَلَمْ يَعُدْ ، أَمّا أُمُّهُ فَقَدْ وافاها أَجَلُها . وَلَكَ أَنْ تَتَصَوَّرَ ، أَيُّها الجِنِّيُّ ، ما لَحِقَني مِنْ حُزْنٍ لِفَقْدِ عَزيزَيْنِ عَلَيَّ . وَقَضَيْتُ ثَمانِيَةَ أَشْهُرٍ أَبْحَثُ عَنْ وَلَدي ، وَلٰكِنّي لَمْ أَعْثُرْ عَلَيْهِ .

بَعْدَ أَيّامٍ ، وَعِنْدَما حَلَّ عيدُ الأَضْحى المُبارَكُ ، عَزَمْتُ عَلى دَعْوَةِ الأَصْدِقاءِ إِلى وَليمَةٍ كُبْرى أُقَدِّمُ فيها صُنوفَ الأَكْلِ الشَّهِيَّةَ .

فَاسْتَدْعَيْتُ رَئيسَ خَدَمي ، وَطَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَني بِبَقَرَةٍ سَمينَةٍ أَذْبَحُها ، وَتَكونُ طَعامًا لِضُيوفي ، فَفَعَلَ . وَتَهَيَّأْتُ لِذَبْحِها ، وَما كِدْتُ أَسْتَلُّ السِّكّينَ حَتّى لَمَحْتُ الحُزْنَ في عَيْنَيِ البَقَرَةِ ، فَأَخَذَتْني الرَّأْفَةُ بِها ، وَأَمَرْتُ الخادِمَ أَنْ يُبْعِدَها عَنّي . وَلٰكِنَّ زَوْجَتي كَظَمَتْ غَيْظَها ، وَأَلَحَّتْ قائِلَةً : « لِمَ لَمْ تَذْبَحِ البَقَرَةَ ؟ أَرْجوكَ أَنْ تَذْبَحَها دونَ غَيْرِها ، إِكْرامًا لِخاطِري . » وَلٰكِنّي شَعَرْتُ بِعَجْزي عَنْ ذٰلِكَ ، وَأَمَرْتُ الخادِمَ أَنْ يَتَوَلّى ذٰلِكَ بِنَفْسِهِ . وَما إِنْ ذَبَحَها ، حَتّى وَجَدَها خالِيَةً مِنَ اللَّحْمِ وَالشَّحْمِ ، حَتّى إِنَّ الطّاهِيَ قالَ لي : « سَيِّدي ، لا أَسْتَطيعُ أَنْ أُقَدِّمَ هٰذِهِ البَقَرَةَ العَجْفاءَ طَعامًا لِضُيوفِكَ . »

أَصْبَحْتُ في حَيْرَةٍ مِنْ أَمْري . ماذا يَكونُ مَوْقِفي مِنْ ضُيوفي ، لَوْ قَدَّمْتُ لَهُمْ طَعامًا لا لَحْمَ فيهِ وَلا دَسَمَ ؛ وَعِنْدَئِذٍ الْتَفَتُّ إِلى الخادِمِ وَقُلْتُ لَهُ : « جِئْني مِنَ الحَظيرَةِ بِعِجْلٍ سَمينٍ . » فَجاءَني الخادِمُ بِعِجْلٍ سَمينٍ ، وَما إِنْ رَآني العِجْلُ ، حَتّى أَلْقى بِنَفْسِهِ عَلى قَدَمَيَّ يَلْثِمُهُما ، وَعَيْناهُ مُغْرَوْرِقَتانِ بِالدُّموعِ . حِرْتُ في أَمْري ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَيَّ الدَّهْشَةُ لِما أَراهُ ، وَأَمَرْتُ

الخادِمَ أَنْ يُعيدَهُ إِلى الحَظيرَةِ ، وَيَتَوَلّى العِنايَةَ بِهِ ، وَيَجيئَني بِعِجْلٍ آخَرَ . وَلٰكِنَّ زَوْجَتي ثارَتْ وَأَسْمَعَتْني كَلامًا قارِصًا ، وَأَصَرَّتْ عَلى أَنْ أَذْبَحَ العِجْلَ . وَلٰكِنَّ نَفْسي لَمْ تُطاوِعْني في ذٰلِكَ ، وَجاءَني الخادِمُ بِعِجْلٍ آخَرَ .

في صَباحِ اليَوْمِ التّالي ، جاءَني رَئيسُ خَدَمي ، وَكَلَّمَني عَلى انْفِرادٍ ، وَقالَ لي : « سَيِّدي ! إِنَّ ابْنَتي تَعَلَّمَتِ السِّحْرَ وَأَتْقَنَتْهُ ، وَقَدْ رَأَتْني أَقودُ العِجْلَ ، فَضَحِكَتْ أَوَّلًا ، ثُمَّ أَخَذَتْ في البُكاءِ . وَلَمّا سَأَلْتُها : « عَجيبٌ أَمْرُكِ يا ابْنَتي . لِمَ كُنْتِ تَضْحَكينَ ، بَيْنَما أَراكِ الآنَ تَبْكينَ ؟ » أَجابَتْني : « إِنَّ العِجْلَ الَّذي تَقودُهُ ، يا والِدي ، هُوَ ابْنُ سَيِّدِنا الشَّيْخِ ، وَقَدْ سَحَرَتْهُ زَوْجَةُ أَبيهِ . وَضَحِكْتُ لِأَنَّ والِدَهُ رَفَضَ أَنْ يَذْبَحَهُ . وَلٰكِنّي بَكَيْتُ ، لِأَنَّ الخادِمَ ذَبَحَ أُمَّهُ . » لَكَ الآنَ أَنْ تَتَصَوَّرَ ، يا عَظيمَ الجانِّ ما آلَتْ إِلَيْهِ حالَتي ، عِنْدَما سَمِعْتُ ما فَعَلَتْهُ زَوْجَتي بِوَلَدي . وَما هِيَ إِلّا لَحَظاتٌ ، حَتّى اصْطَحَبْتُ رَئيسَ الخَدَمِ إِلى بَيْتِهِ لِأَقِفَ عَلى حَقيقَةِ الخَبَرِ . وَبادَرْتُ الفَتاةَ بِالسُّؤالِ : « هَلْ تَسْتَطيعينَ أَنْ تُعيدي ابْني إِلى ما كانَ عَلَيْهِ ؟ »

أَجابَتْني بِثِقَةٍ : « نَعَمْ يا سَيِّدي ، إِنّي أَقْدِرُ عَلى ذٰلِكَ ، لَوْ لَبَّيْتَ لي طَلَبي . هَلْ تَعِدُني بِأَنْ يَتَزَوَّجَني ابْنُكَ ؟ وَهَلْ تَأْذَنُ لي بِأَنْ أَفْعَلَ بِزَوْجَتِكَ الشِّرّيرَةِ الَّتي حَوَّلَتِ ابْنَكَ مِنْ إِنْسانٍ إِلى عِجْلٍ ما أُريدُ ؟ »

أَسْرَعْتُ بِالرَّدِّ عَلَيْها قائِلًا : « لَكِ عَلَيَّ كُلُّ ذٰلِكَ . سَتَكونينَ زَوْجَةَ ابْني ، وَسَأَسْمَحُ لَكِ أَنْ تَفْعَلي بِزَوْجَتي ما تَشائينَ ، عَلى أَلّا تَقْتُليها . وَالآنَ أَخْبِريني ماذا سَتَفْعَلينَ ؟ »



أجابَتْني قائِلَةً : « سأَفْعَلُ بِها مِثْلَما فَعَلَتْ بِابْنِكَ . سأُحَوِّلُها مِنْ إنْسانٍ إلى حَيَوانٍ . »

جاءَتِ الفَتاةُ بِقِدْرٍ مِنَ الماءِ ، وتَلَتْ عَلَيْها التَّعاويذَ السِّحْرِيَّةَ ، ثُمَّ ألْقَتْ بِالماءِ عَلى العِجْلِ . وما أسْرَعَ ما عادَ العِجْلُ إلى هَيْئَةِ ابْني . وما إنْ رَأَيْتُهُ حَتّى تَعالَتْ صَيْحاتُ فَرَحي ، وضَمَمْتُهُ إلى صَدْري ، ودُموعُ الفَرَحِ تَمْلأُ

ناظِرَيَّ . ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : « بُنَيَّ الحَبيبَ ، لَقَدْ أنْقَذَتْكَ هٰذِهِ الفَتاةُ ، ولا شَكَّ أنَّكَ تَقْبَلُها زَوْجَةً لَكَ . »

أمّا زَوْجَتي فَقَدْ سَحَرَتْها الفَتاةُ وحَوَّلَتْها إلى غَزالَةٍ لِيَكونَ الجَزاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ . وأنا الآنَ في طَريقي إلى زِيارَةِ وَلَدي ومَعي الغَزالَةُ .

انْتَهى الشَّيْخُ مِنْ قِصَّتِهِ ، فَأَبْدى الجِنِّيُّ إعْجابَهُ بِها وقالَ : « أيُّها الشَّيْخُ ، إنَّ قِصَّتَكَ عَجيبَةٌ . وقَدْ وَهَبْتُ الرَّجُلَ نِصْفَ حَياتِهِ . ولٰكِنّي سأَهَبُ لَهُ النِّصْفَ الآخَرَ مِنْ حَياتِهِ ، لَوْ كانَتْ قِصَّةُ الشَّيْخِ الثّاني أعْجَبَ وأمْتَعَ . »

* * *

وهُنا قالَتْ شَهْرَزادُ : « ها هِيَ ذي الشَّمْسُ تُشْرِقُ . وسَأَقُصُّ عَلَيْكُما غَدًا حِكايَةَ الشَّيْخِ الثّاني والكَلْبَتَيْنِ السَّوْداوَيْنِ اللَّتَيْنِ كانَ يَقودُهُما . »

في اللَّيْلَةِ التّالِيَةِ ، قالَتْ دُنْيازادُ : « أرْجو أنْ تَحْكِيَ لَنا قِصَّةَ الشَّيْخِ الثّاني ، أنا في شَوْقٍ شَديدٍ إلى سَماعِها . » اِعْتَدَلَتْ شَهْرَزادُ في جِلْسَتِها وبَدَأَتْ تَسْرُدُ القِصَّةَ .

الفصل الرابع

حكاية الشيخ الثاني و الكلبتين السوداوين

قال الشيخ: إعلم – ياعظيم الجان – أن الكلبتين اللتين تراهما هما أخواي وأنا ثالثهما. وكان والدي قد أوصى قبل موته بألف دينار ذهبي لكل واحد منا يستثمرها بما يكفيه شر السؤال. وقد أصر أخي الأكبر أن يأخذ نصيبه، ويخرج في تجارة تدر عليه المال الكثير ليعود إلى مسقط رأسه، وقد أصبح من أثرياء المدينة المرموقين وينفق مما رزقه الله، ويعيش في بحبوحة.

لكن بعد عام من خروجه في تجارته، فوجئت برجل فقير على بابي، بثياب مهلهلة وشعر منفوش، وكأنه من المتسولين. سألته ما حاجته، فنظر إلي وقال: «هل نسيتني؟ ألا تعرفني؟» ولما أنعمت النظر فيه، أدركت أنه أخي الأكبر.

رثيت لحاله، وأخذتني الشفقة عليه، وأدخلته بيتي، وقدمت له الطعام واللباس. ولما استقر به المقام، أخذ يقص علي ما جرى له، وكيف خسر جميع ما يملك. أما أنا فكان الله قد بارك لي في تجارتي، وكسبت ألف دينار ذهبي، وأصبح لدي ألفان من الدنانير، فأعطيته ألفا ليتدبر أموره، ويسعى في سبيل رزقه.

أما أخي الأوسط فقد جاءني يوما، وقال لي: «لقد نويت، يا أخي، أن أقصد باب الله، وأطوف البلاد، وأمارس البيع والشراء. وأملي بالله أن

أوفق في تجارتي وأكسب الأموال، حتى إذا عدت إلى بلدي، عشت حياة سعيدة هنيئة.» وبعد عام من خروجه، عاد، كما عاد أخوه الأكبر من قبل، لا يملك من الدنيا شيئا، فقد خسر جميع تجارته.

وذات يوم جاءني أخواي وقالا: «ما رأيك، لو خرجنا نحن الثلاثة في تجارة نعود بعدها وقد من الله علينا بالربح الوفير، فنعيش حياتنا مترفين.» ولم أستجب أول الأمر لمشورتهما، وذكرتهما بما أصاب تجارتيهما من بوار، وفقدان ما كانا يملكان. ولكني بعد إلحاحهما الشديد، وافقتهما غير راض. وأحصيت ثروتي فوجدتها ستة آلاف دينار ذهبي أعطيت كل واحد منهما ألفا، واحتفظت لنفسي بألف. أما الثلاثة آلاف المتبقية، فقد أخفيتها في مكان أمين تحت أرضية غرفتي، لأعود إليها عند الحاجة.

جهز كل واحد منا بضاعته، واستأجرنا مركبا، وبدأنا رحلتنا. وكنا في كل بلد نصل إليه، نبيع ونشتري، ونربح الكثير. وانتهى بنا المطاف في مدينة على شاطئ البحر.

وبينما كنت أتمشى ذات يوم على الشاطئ، إذا بامرأة جميلة ترتدي ثيابًا بالية تستوقفني وتقبل يدي وتقول: «ناشدتك الله أن ترأف بحالي، واتخذني زوجة لك، على سنة الله ورسوله، وتحملني على مركبك.»

رفضت طلبها في البداية، ولكني وافقت على الزواج منها بعد أن تبين لي أنها امرأة طيبة وصالحة. تزوجتها، وكان حبي لها يزداد يوما بعد يوم. وحملتها إلى المركب، ووفرت لها جميع أسباب الراحة. وحدث أن



شُغِلْتُ عَنْ أَخَوَيَّ بِبَعْضِ الشَّيْءِ ، فَغارا مِنِّي . وَحَسَداني عَلى ما أَنا فيهِ مِنْ رَغَدِ العَيْشِ وَوَفْرَةِ المالِ ، وَأَضْمَرا لِيَ السُّوءَ . وَأَخَذا يَتَهامَسانِ فيما بَيْنَهُما ، وَلِسانُ حالِهِما يَقولُ : « ماذا أَصابَ أَخانا ، حَتّى أَحَبَّ هٰذِهِ المَرْأَةَ الَّتي لا يَعْرِفُ أَصْلَها ؟ لاشَكَّ أَنَّ ثَرْوَتَهُ سَتَؤولُ إِلَيْها وَحْدَها ، وَلَنْ يُصيبَنا مِنْها شَيْءٌ . »

لَمْ يَخْطُرْ بِخاطِري أَنَّهُما خَطَّطا لِيَتَخَلَّصا مِنّي ، وَيَضَعا أَيْدِيَهُما عَلى ثَرْوَتي . فَفي إِحْدى اللَّيالي ، وَبَيْنَما أَنا مُسْتَغْرِقٌ في النَّوْمِ ، تَسَلَّلا إِلى حُجْرَةِ نَوْمي ، وَأَلْقَيا بي وَبِزَوْجَتي في البَحْرِ . وَهُنا وَقَعَتْ لي أَغْرَبُ مُفاجَأَةٍ في حَياتي : فَقَدْ كانَتْ زَوْجَتي حورِيَّةً ، فَأَسْرَعَتْ تُنْقِذُني ، وَطارَتْ بي في أَعالي الجَوِّ حَتّى حَطَّتْ في جَزيرَةٍ نائِيَةٍ . وَعِنْدَما طَلَعَ الصَّباحُ جاءَتْني وَقالَتْ لي :

« زَوْجِيَ الكَريمَ ، فَلأُصارِحْكَ . عِنْدَما رَأَيْتُكَ تَتَمَشّى عَلى شاطِئِ البَحْرِ تَوَسَّمْتُ فيكَ الخَيْرَ ، وَوَجَدْتُ فيكَ الزَّوْجَ المُرْتَجى ، فَعَرَضْتُ عَلَيْكَ

ٱلزوج فقبلتُ، وعاملتني بإحسانٍ. وسأردُّ لك بعض ٱلجميل، وأرجو ألّا تنتقمَ لِما فعل بك أخواك، فعلى ٱلباغي تدورُ ٱلدوائرُ. سأطيرُ بك إلى بيتِك، وستستولي عليك ٱلدهشةُ لِما ستراه على بابك.»

عندما وصلتُ إلى بيتي، رأيتُ هاتين ٱلكلبتين ٱلسوداوين تقفان على ٱلباب، فتعجبتُ بوجودهما. ولكنّ زوجتي ٱلحوريةَ أخرجتني من دهشتي قائلةً: «إنّ ٱلكلبتين هما أخواك، وستبقيان على هذه ٱلهيئةِ عشر سنوات، إلى أن تجيئني بهما في ٱلمكان ٱلذي سأعيّنه لك، لأعيدهما إلى صورتهما ٱلآدميةِ.»

ولقد ٱنتهت ٱلسنواتُ ٱلعشرُ، وها أنذا في طريقي إلى ٱلمكان ٱلذي عيّنته زوجتي. هذه هي قصتي كاملةً، أيها ٱلجنيُّ. ألا تراها عجيبةً؟ ألا تهبُ للرجلِ نصفَ حياته ليعودَ إلى أهلِه؟

قال ٱلجنيُّ: «حقًّا، إنها قصةٌ شائقةٌ وعجيبةٌ. إنها أفضلُ من سابقتها، وإني — بكلّ سرورٍ — أهبُ له نصفَ حياته.»

وفي لحظاتٍ تحوّل ٱلجنيُّ إلى سحابةٍ ٱرتفعت في ٱلسماء وٱختفت عن ٱلأنظار.

ما إن ٱنتهت شهرزادُ من قصةِ ٱلشيخ ٱلثاني، حتى خاطبت ٱلسلطانَ شهريارَ قائلةً:

«ياعظمةَ ٱلسلطان، إنّ ٱلقصتين ٱللتين سمعتهما ليستا بأفضلَ من قصةِ هارونَ ٱلرشيد مع ٱلأعمى. ويؤسفني أني لا أستطيعُ أن أقصّها عليك، لأنّ

ٱلشمس قد أشرقت. كما أني لا أستطيعُ ذلك غدًا لأني سأكونُ في عِدادِ ٱلموتى. ولكنّي أسمحُ لنفسي — فيما تبقّى من ٱلوقت — أن أسمعكَ بدايتها.»

يُحكى أنّ ٱلخليفةَ هارونَ ٱلرشيد، أرِقَ ذات ليلةٍ، ولم يذُق للنوم طعمًا، من كثرةِ ٱلهواجس ٱلتي ٱنتابته. لأنه لم يكن واثقًا من أنّ شعبَه يعيشُ سعيدًا، وينعمُ بٱلمعاملةِ ٱلحسنةِ ٱلتي ينادي بها ٱلإسلامُ. فٱستدعى وزيرَه ٱلأعظمَ، وقال له:

«إنّ حبّي لشعبي عظيمٌ، وسهري على مصالحِه يدفعني إلى تفقّدِ أحوالِه، ومعرفةِ ما يعانيه. هلّا خرجنا معًا بين ٱلحينِ وٱلآخرِ لندرسَ عن قربٍ كيف يعيشون؟ ولو وجدتُ واحدًا من رعيّتي يقاسي مرارةَ ٱلعيشِ [illegible]، تسارعتُ إلى ٱلبحثِ عن ٱلأسباب.»

في إحدى ٱلليالي، خرج ٱلخليفةُ وكبيرُ وزرائه متنكّرين في ثياب تاجرين [?]، وأخذا يطوفانِ ٱلشوارعَ. ومرّا بفقيرٍ أعمى يستجدي ٱلناسَ [illegible]. وهنا توقّفت شهرزادُ عن ٱلكلام. فٱندفع ٱلسلطانُ قائلًا:

«إني في شوقٍ لسماعِ بقيّةِ قصةِ هارونَ ٱلرشيدِ وٱلأعمى. أرجو أن تكملي [?] ذلك غدًا قبل شروقِ ٱلشمس.»

الفصلُ الخامسُ

الخليفةُ و الشّحّاذُ الأعمى

ذاتَ ليلةٍ، خرجَ الخليفةُ هرون الرّشيد وكبيرُ وزرائِهِ متنكّرَينِ في ثيابِ فقيرَينِ لئلّا يتعرّفَ عليهما أحدٌ. وأخذا يتمشّيانِ في شوارعِ بغدادَ. ثمّ ركبا قاربًا صغيرًا، وعبرا نهرَ الفراتِ وتجوّلا في الشّوارعِ على الضّفّةِ الأخرى.

وكمْ كانَ سرورُهما عظيمًا عندما وجدا أنّ الأمنَ مستتبٌّ، وكلُّ شيءٍ يسيرُ على ما يرامُ. وقدِ انتهى بهما المطافُ عندَ الجسرِ المؤدّي إلى قصرِ الخليفةِ. وما إنْ سارا قليلًا فوقَ الجسرِ، حتّى استوقفَهما شحّاذٌ أعمى عجوزٌ، وقالَ لهما:

«أيّها السّيّدانِ الكريمانِ، لقدْ قضيتُ اليومَ بطولِهِ بدونِ طعامٍ. فهلْ لكما أنْ تحسنا إليَّ بشيءٍ لأشتريَ طعامًا؟»

منحَهُ الخليفةُ بعضَ النّقودِ. فشكرَهُ الشّحّاذُ ورجاهُ أنْ يضربَهُ بقسوةٍ، فتحيّرَ الخليفةُ ممّا سمعَ، وقالَ لهُ:

«لا أستطيعُ أنْ أفعلَ ذلكَ، احترامًا لشيخوختِكَ. أما كفاكَ أنّكَ قضيتَ يومَكَ بدونِ طعامٍ؟ هلْ لكَ أنْ تقولَ لي لِمَ تسألُني أنْ أضربَكَ؟»

قالَ الشّحّاذُ: «إمّا أنْ تنفّذَ ما سألتُكَ أوْ تستردَّ نقودَكَ، فأنا لا أقبلُ نقودًا من أحدٍ، ما لمْ آتِ العقابَ تكفيرًا عمّا اقترفتُهُ في حقِّ نفسي. ولوْ عرفتَ قصّتي، لما توانيتَ عنْ إنزالِ العقابِ بي.»



استجابَ الخليفةُ لطلبِهِ، وضربَهُ برفقٍ. ولكنّ الشّحّاذَ أصرَّ على أنْ يضربَهُ بقسوةٍ، ففعلَ الخليفةُ.

واصلَ الخليفةُ والوزيرُ سيرَهما. وفي الطّريقِ التفتَ الخليفةُ إلى الوزيرِ قائلًا: «إنّي حائرٌ في أمرِ هذا الشّحّاذِ العجوزِ. تُرى هلْ هناكَ منْ سببٍ يدفعُهُ إلى مثلِ هذا الطّلبِ الغريبِ؟ لِمَ أصرَّ على أنْ أضربَهُ بقسوةٍ؟ عُدْ إليهِ وأخبرْهُ منْ أكونُ، وليحضرْ إلى قصري غدًا بعدَ صلاةِ المغربِ.»

عادَ الوزيرُ، وأعطى الشّحّاذَ قطعةَ نقودٍ ذهبيّةً، وضربَهُ بقسوةٍ، وأبلغَهُ ما قالَ الخليفةُ.

في اليومِ التّالي، وبعدَ صلاةِ المغربِ، اصطحبَ الوزيرُ الشّحّاذَ العجوزَ إلى ديوانِ الخليفةِ.

سَأَلَهُ الْخَلِيفَةُ : « مَا اسْمُكَ ؟ »

أَجَابَ الشَّحَّاذُ : « اِسْمِي بَابَا عَبْدُ اللهِ . »

قَالَ الْخَلِيفَةُ : « قُلْ لِي ، لِمَ تَطْلُبُ مِمَّنْ يُحْسِنُونَ إِلَيْكَ أَنْ يَضْرِبُوكَ ؟ هَلْ لِطَلَبِكَ هٰذَا سَبَبٌ ؟ إِنَّ طَلَبَكَ هٰذَا يَتَعَارَضُ مَعَ الْقِيَمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الَّتِي نَعْمَلُ عَلَى غَرْسِهَا فِي نُفُوسِ أَبْنَاءِ دَوْلَتِنَا ؛ إِذْ لَيْسَ مِنَ الْخُلُقِ فِي شَيْءٍ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْأَبْنَاءُ ضَرْبَ شَيْخٍ فِي مِثْلِ سِنِّ أَبِيهِمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَكْبَرَ . »

قَالَ الشَّحَّاذُ : « أَرْجُو أَنْ يَأْذَنَ لِي خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ أَعْرِضَ عَلَى مَسَامِعِهِ تَارِيخَ حَيَاتِي . » وَأَذِنَ لَهُ الْخَلِيفَةُ ، فَقَالَ :

وُلِدْتُ فِي بَغْدَادَ . وَمَاتَ وَالِدَايَ وَأَنَا شَابٌّ صَغِيرٌ . وَتَرَكَا لِي بَعْضَ الْمَالِ أَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي مَعَاشِي . وَأَجْهَدْتُ نَفْسِي فِي الْعَمَلِ ، وَكَسَبْتُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَالِ ، وَاشْتَرَيْتُ لِنَفْسِي ثَمَانِينَ جَمَلًا اسْتَخْدَمْتُهَا فِي تِجَارَتِي . وَكُنْتُ أَشْتَرِي بِضَاعَةً مِنْ بَلَدٍ ، وَأَبِيعُهَا فِي بَلَدٍ آخَرَ ، فَزَادَتْ ثَرْوَتِي . وَلٰكِنِ ازْدَادَ مَعَهَا حُبِّي لِلْمَالِ .

ذَاتَ يَوْمٍ انْتَصَفَ النَّهَارُ وَكُنْتُ عَائِدًا مِنَ الْبَصْرَةِ ، فَتَوَقَّفْتُ فِي مَكَانٍ اشْتَرَيْتُ مِنْهُ عَلَفًا لِإِبِلِي . وَجَلَسْتُ تَحْتَ شَجَرَةٍ لِآخُذَ قِسْطًا مِنَ الرَّاحَةِ ، وَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ جَاءَنِي دَرْوِيشٌ كَانَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْبَصْرَةِ . وَكَمَا تَعْلَمُ يَامَوْلَايَ فَإِنَّ الدَّرَاوِيشَ يَبِيعُونَ دُنْيَاهُمْ فِي سَبِيلِ آخِرَتِهِمْ ، فَهُمْ يَزْهَدُونَ فِي الدُّنْيَا وَيَرْغَبُونَ فِي الْآخِرَةِ ، وَلَا يَهْتَمُّونَ بِالْمَالِ . وَدَعَوْتُ الدَّرْوِيشَ لِيَجْلِسَ بِجِوَارِي وَيُشَارِكَنِي طَعَامِي . وَتَبَادَلْنَا أَطْرَافَ الْحَدِيثِ فِي الْحَيَاةِ الَّتِي يَعِيشُهَا

كُلٌّ مِنَّا . وَمِمَّا قَالَهُ لِي :

« إِنِّي عَازِفٌ عَنِ الْمَالِ ، وَلَوْ أَرَدْتُ جَمْعَ الذَّهَبِ وَالْجَوَاهِرِ ، لَكَانَ لِي ذٰلِكَ . فَفِي كَهْفٍ قَرِيبٍ لَا تَرَاهُ الْعَيْنُ ، أَكْدَاسٌ مِنَ الذَّهَبِ وَالْجَوَاهِرِ ، تَنُوءُ بِحَمْلِهَا إِبِلُكَ الثَّمَانُونَ . »

قُلْتُ لَهُ : « أَيُّهَا الدَّرْوِيشُ الصَّالِحُ ، إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ ثَرَوَاتِ الْعَالَمِ لَا تُسَاوِي شَيْئًا فِي نَظَرِكَ . وَلٰكِنْ ، مَاذَا تَجْنِي مِنْ مَعْرِفَتِكَ مَكَانَ هٰذِهِ الثَّرَوَاتِ ؟ إِنَّكَ تَمْشِي وَحِيدًا ، وَلَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَحْمِلَ إِلَّا النَّزْرَ الْيَسِيرَ مِنْهَا ، هَلْ لَكَ أَنْ تُرْشِدَنِي إِلَى مَكَانِهَا ، حَتَّى أُحَمِّلَ إِبِلِي بِهَا ، وَسَأُعْطِيكَ وَاحِدًا مِنْهَا بِحِمْلِهِ . » وَهُنَا شَرَدَ ذِهْنِي ، وَطَافَتْ بِمُخَيِّلَتِي شَتَّى الْأَفْكَارِ ، فَأَنَا مِمَّنْ يَعْشَقُونَ الذَّهَبَ ، وَلَوْ أَعْطَيْتُهُ جَمَلًا بِحِمْلِهِ ، لَتَبَقَّى لِي تِسْعَةٌ وَسَبْعُونَ .

قَرَأَ الدَّرْوِيشُ مَا يَجُولُ فِي ذِهْنِي ، وَقَالَ لِي : « اِسْمَعْ أَيُّهَا الْأَخُ ، لَمْ تَكُنْ مُنْصِفًا فِيمَا عَرَضْتَهُ عَلَيَّ . لَقَدْ أَخْبَرْتُكَ عَنِ الْكَهْفِ ظَنًّا مِنِّي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ لَنْ تَتَوَانَى عَنْ شُكْرِي عَلَى صُنْعِي ، وَأَنَّكَ تَتَنَازَلُ عَنْ نِصْفِهَا ، تُصِيبُ الثَّرَاءَ كَبِيرًا . وَقَبْلَ أَنْ أُرْشِدَكَ إِلَى الْكَهْفِ عَلَيْكَ أَنْ تَقْطَعَ عَلَى نَفْسِكَ عَهْدًا بِأَنْ تُعْطِيَنِي أَرْبَعِينَ مِنْهَا . »

فَكَّرْتُ مَلِيًّا وَسَأَلْتُ نَفْسِي : لَوْ أَعْطَيْتُ الدَّرْوِيشَ نِصْفَهَا ، لَتَسَاوَيْنَا فِي الثَّرَاءِ وَهٰذَا مَا لَا تُطَاوِعُنِي نَفْسِي عَلَيْهِ . وَقَلَّبْتُ الْأَمْرَ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيهِ ، فَرَأَيْتُ أَنْ لَا مَفَرَّ مِنَ الْمُوَافَقَةِ عَلَى مَا أَشَارَ بِهِ عَلَيَّ ، وَإِلَّا فَلَنْ يُصِيبَنِي مِنَ الثَّرْوَةِ شَيْءٌ . وَعِنْدَمَا وَصَلْتُ إِلَى هٰذَا الْقَرَارِ قُلْتُ لَهُ : « سَأُعْطِيكَ أَرْبَعِينَ جَمَلًا بِحِمْلِهَا . هَيَّا أَرْشِدْنِي إِلَى الْمَكَانِ . »



نَهَضَ ٱلدَّرْوِيشُ ، وَرافَقْتُهُ إِلى أَنْ وَصَلْنا إِلى مَمَرٍّ ضَيِّقٍ بَيْنَ هَضْبَتَيْنِ جَوانِبُهُما قائِمَةٌ يَتَعَذَّرُ عَلى ٱلإِنْسانِ تَسَلُّقُها . وَفي نِهايَةِ ٱلْمَمَرِّ تَقومُ صَخْرَةٌ عالِيَةٌ ، لا سَبيلَ إِلى ٱلْوُصولِ إِلَيْها إِلَّا مِنَ ٱلطَّريقِ ٱلَّذي سَلَكْناهُ . وَهُنا أَشْعَلَ ٱلدَّرْوِيشُ نارًا ، وَأَلْقى عَلَيْها مَسْحوقًا سِحْرِيًّا ، فَانْزاحَتِ ٱلصَّخْرَةُ عَنْ مَدْخَلِ ٱلْكَهْفِ ٱلَّذي نَسْعى إِلَيْهِ . وَما هِيَ إِلَّا لَحَظاتٌ حَتّى وَجَدْتُ نَفْسي في داخِلِ ٱلْكَهْفِ ، وَأَكْداسُ ٱلذَّهَبِ وَٱلْجَواهِرِ تُحيطُ بي مِنْ كُلِّ جانِبٍ . فَمَلَأْتُ كيسًا بِٱلذَّهَبِ وَمَلَأَ ٱلدَّرْوِيشُ كيسًا آخَرَ بِٱلْجَواهِرِ ، وَقُلْتُ لِنَفْسي : لِمَ لا أَمْلَأُ أَكْياسي بِٱلْجَواهِرِ بَدَلَ ٱلذَّهَبِ ، فَهِيَ أَثْمَنُ ، وَسَتُدِرُّ عَلَيَّ ٱلْمالَ ٱلْوَفيرَ . وَعِنْدَما ٱنْتَهَيْنا مِنْ حَشْوِ ٱلْأَكْياسِ بِٱلذَّهَبِ وَٱلْجَواهِرِ وَتَحْميلِها عَلى ظُهورِ ٱلْإِبِلِ ، رَأَيْتُ ٱلدَّرْوِيشَ يُسْرِعُ إِلى صُنْدوقٍ ذَهَبِيٍّ كَبيرٍ في أَقْصى ٱلْكَهْفِ ، وَيُخْرِجُ مِنْهُ صُنْدوقًا خَشَبِيًّا صَغيرًا . وَأَشْعَلَ ٱلدَّرْوِيشُ ٱلنّارَ ثانِيَةً ، وَأَلْقى فيها مَسْحوقًا سِحْرِيًّا وَتَلا بَعْضَ ٱلتَّعاويذِ ٱلسِّحْرِيَّةِ ، وَإِذا بِٱلْكَهْفِ يُغْلَقُ ثانِيَةً ، وَتَعودُ ٱلصَّخْرَةُ إِلى مَكانِها .

ساقَ كُلٌّ مِنّا أَرْبَعينَ جَمَلًا ، وَسِرْنا حَتّى وَصَلْنا إِلى مُفْتَرَقِ طَريقَيْنِ ، أَحَدُهُما يُؤَدّي إِلى ٱلْبَصْرَةِ وَٱلْآخَرُ إِلى بَغْدادَ . وَقَبْلَ أَنْ نَفْتَرِقَ ، وَيَسْلُكَ ٱلدَّرْوِيشُ ٱلطَّريقَ إِلى ٱلْبَصْرَةِ وَأَتَّجِهَ أَنا إِلى بَغْدادَ ، شَكَرْتُهُ عَلى جَميلِ صُنْعِهِ ، وَتَمَنَّيْتُ لَهُ سَفَرًا مَيْمونًا ، وَسَعادَةً دائِمَةً . وَما كِدْتُ أَسيرُ قَليلًا ، حَتّى قُلْتُ لِنَفْسي : ما ٱلَّذي يُريدُهُ ٱلدَّرْوِيشُ مِنْ هٰذِهِ ٱلثَّرَواتِ ؟ إِنَّهُ لَيْسَ بِحاجَةٍ إِلَيْها ، إِنَّهُ يَعْرِفُ كَيْفَ يَفْتَحُ ٱلْكَهْفَ في أَيِّ وَقْتٍ يَشاءُ ، وَيَأْخُذُ مِنْهُ ما يَشاءُ .

أَوْقَفْتُ إِبِلي ، وَعُدْتُ إِلَيْهِ مُسْرِعًا وَقُلْتُ لَهُ : « أَخي ، إِنَّكَ مِنَ ٱلزّاهِدينَ

في الدنيا، والراغبين في الآخرة. وستكون هذه الثروات عبئًا عليك يورثك الشقاء. لا تنس أنك لست ممن يحسنون سوق الإبل، ولا ممن يعرفون كيف يسوسونها. إن الحكمة تقضي ألا تأخذ أكثر من ثلاثين جملًا منها، مع أنك ستجد منتهى الصعوبة في سوقها.»

نظر الدرويش إليّ وقال: «لقد أصبت فيما قلت، ولم أفطن إلى ذلك. هيّا خذ عشرة منها.»

اخترت أقصى عشرة، وعدت إلى إبلي. ونظرت خلفي لأرى المسافة التي قطعها، فكانت غير طويلة، لأنه لم يستطع أن يسرع بما معه من الإبل. وهنا حدثت نفسي قائلًا: لقد كان من اليسير عليّ أن أسترجع عشرة. لم لا أحاول استرجاع المزيد منها؟ ناديته بأعلى صوتي، وسرت نحوه، وقلت له: «أخي الدرويش. يتعذر على من لا يحسن سوق الإبل أن يسوق ثلاثين منها، وخير لك وأسلم لو أعطيتني عشرة أخرى.»

لم يتردد الدرويش وأجاب طلبي وبذا أصبح ما لديّ ستين جملًا. وكما يقول المثل: «كلما زاد مالك زاد جشعك»، فقد وجدت نفسي أعود إليه للمرة الثالثة، قائلًا: «يا درويش الخير، لن يقر لي قرار، ولن أشعر بالسعادة، كلما تصورتك تسوق هذا القطيع من الإبل مع جهلك التام بسوقها. ما الذي سيحل بك لو هربت منك الإبل، أو عضك أحدها ساعة الهياج، وعضة الجمل مميتة؟ بميسورك أن تسوق حمارًا، وتذهب إلى الكهف في أي وقت شئت، وتأخذ من الذهب والجواهر ما أردت. ثم إنك درويش يكفيك النزر اليسير منها.. ألم يدر بخلدك ماذا سيقول الناس

عنك، لو رأوك تسوق عشرين جملًا تحمل الذهب والجواهر؟ إن أول سؤال يقولونه: من أين للدرويش هذا؟ وسيتهمونك باللصوصية، سيقولون عنك إنك لص في ثياب درويش.»

ما إن سمع الدرويش تصوراتي التي عرضتها عليه، حتى تنازل عن بقية الإبل، وقال: «تذكر يا بني أن الله خلق المال ليسعد التعساء، ويعين المحتاجين، وأن الثروات تتبدد حين نكتنزها لأنفسنا فقط. تذكر يا بني أن الطمع لا يفيد.»

ضحكت مما قال، ثم تذكرت الصندوق الخشبي الصغير الذي أخذه من الكهف واحتفظ به لنفسه. قلت لنفسي: لعل الصندوق يحتوي على ما هو أفضل مما حملناه على ظهور الإبل، وبادرته بالسؤال: «ما الذي ستفعله بذلك الصندوق الصغير؟ هل تنوي أن تأخذه معك؟» وما أسرع ما قدمه لي قائلًا: «إليك الصندوق أيها الصديق، إن كان سيسعدك.»

فتحت الصندوق فوجدت في داخله زجاجة زيت صغيرة. ولما سألته عن فائدة الزيت قال: «اعلم، يا أخي، أنه سحري. لو وضعت قليلًا منه على عينك اليسرى، لتكشفت لك كنوز الأرض من ذهب وجواهر. ولكن، حذار، إن مس الزيت عينك اليمنى أصبت بالعمى.»

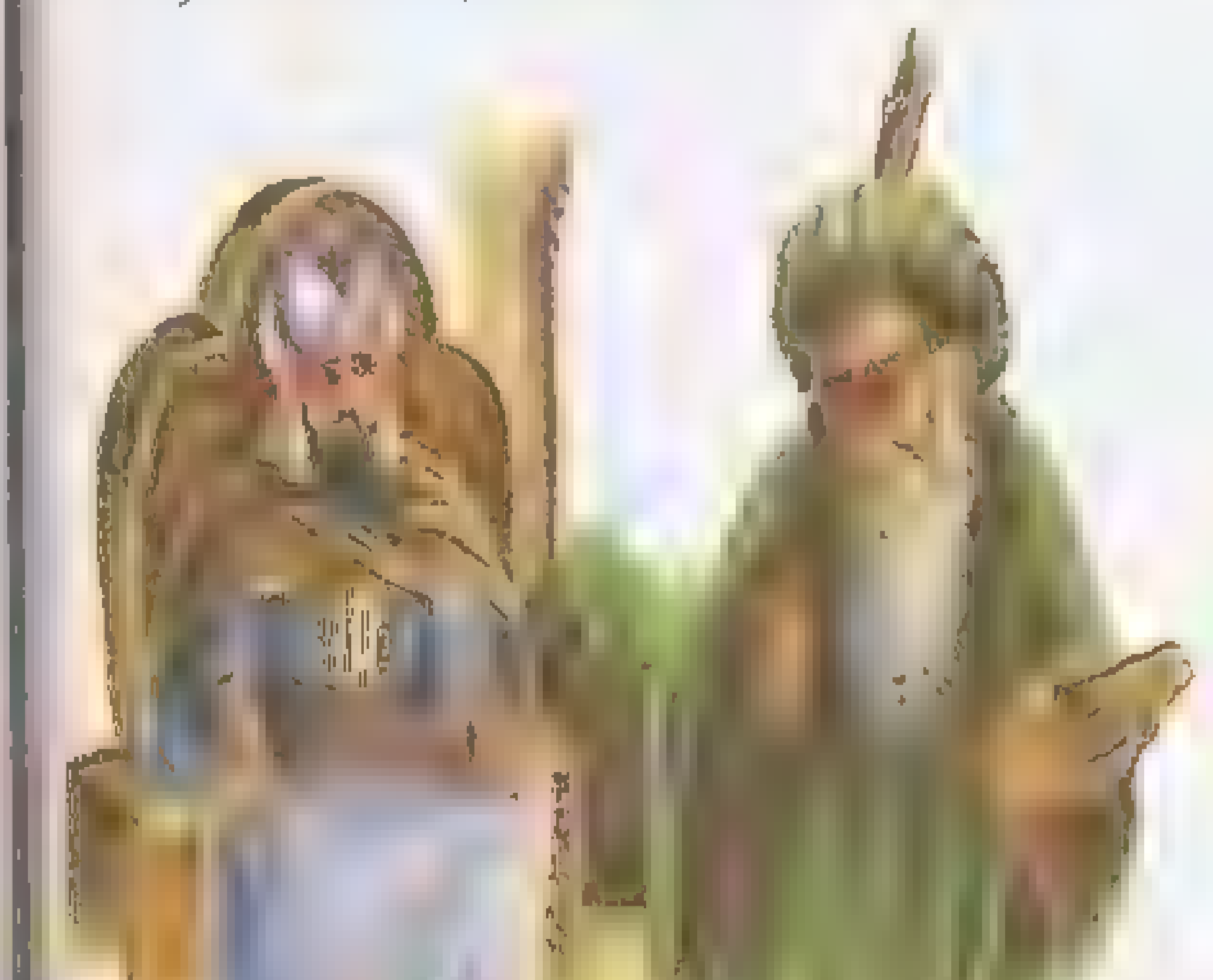
وكم كانت فرحتي عظيمة، عندما أطلعني على سر الزيت السحري، وتقت بشدة لتجربته فقلت له:

«دعني أجربه، وأرجو أن تتكرم بأن تقوم بذلك لأنك تعرف طريقة استعماله خيرًا مني.»

أخذ الدرويش الصندوق وقال لي: « أغلق عينك اليسرى ». ثم وضع إصبعه في الزيت ولامس عيني اليسرى. وما إن فتحتها حتى تكشّف لي ما في باطن الأرض من ذهب وفضة وجواهر. رأيت كنزًا مطمورًا تحت إحدى الأشجار، وآخر تحت بيت متداعٍ، وآخر تحت مجرى أحد الأنهار، وآخر في باطن الطريق التي كنت أقف عليها.

اعترتني الدهشة لما أرى وسألته: « إني لا أستطيع أن أبصر جيدًا تلك الكنوز بعين واحدة. هل لك أن تضع بعض الزيت على عيني اليمنى؟ » فأجابني الدرويش: « لك ذلك، إن كانت هذه رغبتك. ولكني أعود فأذكّرك بأن الزيت لو مسّ عينك اليمنى لفقدت بصرك. »

قلت في نفسي — بيني وبين نفسي — لم أصدّق ما قال، بل ظننت أنه يخفي عليّ سرًا سحريًا من أسرار الزيت. فألححت عليه بقولي: « لست أدري، كيف يجعل هذا الزيت لإحدى العينين قدرة خارقة على الرؤية، في حين يُفقد



الأخرى معًا القدرة على الإبصار. لقد عملت الكثير من أجلي، ولا حاجة بي إلى التأخر في أمر غير ذي بال. ناشدتك الله أن تفعل ما طلبته. »

نزولًا على رغبتي، نفّذ الدرويش ما طلبته. وما إن وضع قليلًا من الزيت في عيني اليمنى، حتى أحسست بأني وسط ظلام دامس، إذ فقدت بصري — كما ترى — يا خليفة المسلمين. عندها صرخت بأعلى صوتي: « أنظر أيها الدرويش ما فعله حبي للذهب. أما من سبيل لإعادة بصري إليّ؟ » نظر إليّ الدرويش، وقال:

« أيها الإنسان سيئ الحظ. لقد كان الجزاء من جنس العمل، ونلت العقاب الذي تستحقه. إن عمى قلبك أدى إلى عمى بصرك، وليس في مقدوري إعادة بصرك إليك. ولتعلم أن هذه الثروات التي جمعتها بجشعك، ستؤول إلى غيرك ممن هم في حاجة إليها، وسيحمدون الله على ما ساقه إليهم من نعم. »

ساق الدرويش الإبل، وبقيت وحدي على قارعة الطريق، إلى أن مرّت بي، في اليوم التالي، جماعة من المسافرين أخذوني إلى بغداد. وهكذا أعيش على ما يقدّمه لي المحسنون. وحتى أكفّر عمّا اقترفته بحق نفسي، أشترط على المحسنين أن ينزلوا بي أشد العقاب. هذه قصتي، يا أمير المؤمنين. »

ما إن سمع الخليفة قصة الرجل حتى قال: « يا بابا عبد الله، حقًا لقد كان خطؤك جسيمًا، ولكنّ عقابك كان أعظم. منذ هذه اللحظة أن

يَنالَكَ أدْنى عِقابٍ. وَسَأَهَبُ لَكَ بَيْتًا تَعيشُ فيهِ، وَأُجْري عَلَيْكَ مالًا يَفي بِقَضاءِ حاجاتِكَ اليَوْمِيَّةِ.»

حَنا بابا عَبْدُ اللهِ عِنْدَ قَدَمَيِ الخَليفَةِ، وَقالَ لَهُ: «يا أميرَ المُؤْمِنينَ، لا يَسَعُني إلّا أنْ أتَمَنّى لَكَ السَّعادَةَ حَتّى أُخْرَياتِ أيّامِكَ، كَما أتَمَنّى أنْ يَسْمَعَ النّاسُ بِما صَنَعْتَ مَعي مِنْ جَميلٍ.»

هُنا وَصَلَتْ شَهْرَزادُ إلى نِهايَةِ حِكايَتِها، ثُمَّ نَظَرَتْ إلى السُّلْطانِ وَقالَتْ: «لَدَيَّ قِصَّةٌ أُخْرى عَنِ الخَليفَةِ هارونَ الرَّشيدِ، أحَدِ أعْظَمِ الحُكّامِ وَأكْثَرِهِمْ حِكْمَةً وَحَصافَةً. وَمَعَ هٰذا لا يَتَرَفَّعُ أحْكَمُ النّاسِ عَنْ أنْ يَتَعَلَّمَ مِنْ غُلامٍ. وَأراني عاجِزَةً عَنْ حِكايَتِها لَكَ، لِأنَّ الشَّمْسَ قَدْ أشْرَقَتْ. وَلٰكِنْ قَدْ تَجِدُ مِنْ بَيْنِ العُلَماءِ وَالأُدَباءِ في ديوانِكَ مَنْ يَعْرِفُ قِصَّةَ عَلي كوجيا وَالخَليفَةِ هارونَ الرَّشيدِ.»

وَلٰكِنَّ السُّلْطانَ أجابَها بِقَوْلِهِ: «قَدْ لا أجِدُ مِنْ بَيْنِ العُلَماءِ وَالأُدَباءِ في ديواني مَنْ يَعْرِفُ هٰذِهِ القِصَّةَ الَّتي أرْغَبُ في سَماعِها. لِذٰلِكَ سَأُبْقي عَلى حَياتِكِ يَوْمًا آخَرَ لِتَقُصّيها عَلَيَّ قَبْلَ شُروقِ شَمْسِ الغَدِ.»

الفَصْلُ السّادِسُ
القاضي الغُلامُ

في عَهْدِ هارونَ الرَّشيدِ، عاشَ في بَغْدادَ رَجُلٌ اسْمُهُ عَلي كوجيا. قَضى حَياتَهُ بِلا زَوْجَةٍ أوْ أوْلادٍ. وَكانَ لَهُ دُكّانٌ صَغيرٌ يَبيعُ فيهِ الحَلْوى وَالألْعابَ لِلأطْفالِ الَّذينَ كانَ يُحِبُّهُمْ. وَكانَ مُتَوَسِّطَ الحالِ، تَفي أرْباحُهُ بِجَميعِ طَلَباتِهِ بَلْ تَزيدُ. وَقَدِ اسْتَطاعَ أنْ يَدَّخِرَ ألْفَ دينارٍ ذَهَبِيٍّ لِيُنْفِقَ مِنْها في مَرَضِهِ وَشَيْخوخَتِهِ.

ذاتَ لَيْلَةٍ، بَيْنَما كانَ غارِقًا في نَوْمِهِ، سَمِعَ هاتِفًا يُناديهِ: «يا عَلي، إنَّكَ مِنْ عِبادِ اللهِ الصّالِحينَ. لِمَ لا تَقْصِدُ بَيْتَ اللهِ الحَرامَ في مَكَّةَ؟ اذْكُرْ قَوْلَهُ تَعالى في كِتابِهِ العَزيزِ (وَلِلّٰهِ عَلى النّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إلَيْهِ سَبيلًا) صَدَقَ اللهُ العَظيمُ. إنَّكَ قادِرٌ عَلى أداءِ هٰذِهِ الفَريضَةِ، بِما أنْعَمَ اللهُ عَلَيْكَ مِنْ صِحَّةٍ وَمالٍ.»

وَعِنْدَما اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ، خاطَبَ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ: أجَلْ، عَلَيَّ أنْ أُؤَدِّيَ فَريضَةَ الحَجِّ. وَلٰكِنْ يَعِزُّ عَلَيَّ أنْ أتْرُكَ بَيْتي وَأصْدِقائي، لِذا لابُدَّ لي أنْ أُكْثِرَ مِنْ عَمَلِ الخَيْرِ، وَالتَّصَدُّقِ عَلى الفُقَراءِ، وَبَعْدَها لَنْ يَجيئَني الهاتِفُ يَدْعوني إلى زِيارَةِ مَكَّةَ لِلطَّوافِ بِالكَعْبَةِ المُشَرَّفَةِ وَأداءِ بَقِيَّةِ الشَّعائِرِ.

لٰكِنْ عِنْدَما تَكَرَّرَ سَماعُ الهاتِفِ في نَوْمِهِ، عَزَمَ عَلى تَنْفيذِ ما أمَرَهُ بِهِ، فَعَهِدَ بِصَديقٍ لَهُ وَأسْكَنَهُ في بَيْتِهِ يَرْعى شُؤونَهُ في غِيابِهِ. وَباعَ الدُّكّانَ وَما فيهِ وَاشْتَرى بِضاعَةً لِيُتاجِرَ بِها في سَفَرِهِ، وَاشْتَرى جَمَلًا يَحْمِلُ عَلَيْهِ بِضاعَتَهُ.

ثُمَّ أَخَذَ يُسائِلُ نَفْسَهُ : « ماذا أَفْعَلُ بِالأَلْفِ دِينارٍ الَّتي ادَّخَرْتُها ، وَأَنَّني لا أَسْتَطيعُ أَخْذَها مَعي ؟ هَلْ أُخْفِيها في مَكانٍ أَمينٍ إلى حِينِ عَوْدَتي ؟

بَعْدَ أَنْ فَكَّرَ طَوِيلًا قالَ لِنَفْسِهِ : سَأَشْتَري قِدْرًا كَبيرَةً مِنْ تِلْكَ القُدورِ الَّتي يُخَلَّلُ فيها الزَّيْتونُ . وَسَأَضَعُ الدَّنانيرَ في قَعْرِها ، وَأَمْلَأُها بِمُخَلَّلِ الزَّيْتونِ الأَخْضَرِ وَأُحْكِمُ إِقْفالَها . وَأُودِعُها حُسَيْنًا صَديقي ، يَحْفَظُها لي في دُكّانِهِ المُجاوِرِ لِدُكّاني .

ذَهَبَ عَلِيٌّ إلى صَديقِهِ حُسَيْنٍ وَقالَ لَهُ : « يا أَخي ، إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنّي في



ذاهِبٌ إلى مَكَّةَ ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَتَكَرَّمَ فَتَحْفَظَ لي هٰذِهِ القِدْرَ إلى حِينِ عَوْدَتي ؟ »

رَحَّبَ حُسَيْنٌ بِذٰلِكَ وَقالَ لِصاحِبِهِ : « سَأَفْعَلُ ما طَلَبْتَ مِنّي بِكُلِّ سُرورٍ . إِلَيْكَ مِفْتاحَ دُكّاني ، وَضَعِ القِدْرَ في المَكانِ الَّذي تُحِبُّ ، وَسَتَجِدُها في المَكانِ نَفْسِهِ عِنْدَ عَوْدَتِكَ بِالسَّلامَةِ . »

بَعْدَ عِدَّةِ أَيّامٍ ، انْطَلَقَ عَلِيٌّ عَلى جَمَلِهِ ، مُحَمَّلًا بِما يَسْتَطيعُ بَيْعَهُ في مَكَّةَ . وَبَعْدَ أَنْ طافَ بِالكَعْبَةِ ، وَصَلّى في بَيْتِ اللهِ الحَرامِ ، وَأَدّى بَقِيَّةَ مَناسِكِ الحَجِّ ، أَخَذَ يَعْرِضُ بِضاعَتَهُ عَلى زُوّارِ بَيْتِ اللهِ الحَرامِ .

ذاتَ يَوْمٍ ، وَقَفَ شَخْصانِ وَأَخَذا يَسْتَعْرِضانِ ما لَدى عَلِيٍّ مِنْ بِضاعَةٍ . قالَ أَحَدُهُما عَلى مَسْمَعٍ مِنْهُ : « عَلى صاحِبِ البِضاعَةِ أَنْ يَقْصِدَ بِها القاهِرَةَ ، حَيْثُ يَبيعُها بِثَمَنٍ أَغْلى وَيَحْصُلُ عَلى مالٍ أَكْثَرَ »

عِنْدَئِذٍ عَزَمَ عَلِيٌّ عَلى الذَّهابِ إلى القاهِرَةِ . وَهُناكَ حَقَّقَتْ تِجارَتُهُ رَواجًا كَبيرًا وَاشْتَرى بَضائِعَ مِصْرِيَّةً باعَها في دِمَشْقَ . وَمِنْ دِمَشْقَ رَحَلَ إلى مَدينَةِ حَلَبَ ، ثُمَّ عَبَرَ نَهْرَ الفُراتِ إلى مَدينَةِ المَوْصِلِ حَيْثُ الْتَقى بَعْضَ تُجّارِ الفُرْسِ وَرافَقَهُمْ إلى بِلادِ فارِسَ ، وَمِنْها تابَعَ سَفَرَهُ إلى بِلادِ الهِنْدِ .

مَضى عَلى غِيابِ عَلِيٍّ مُنْذُ غادَرَ بَغْدادَ سَبْعُ سَنَواتٍ . وَخِلالَ تِلْكَ المُدَّةِ لَمْ يَخْطُرْ عَلِيٌّ بِبالِ صَديقِهِ حُسَيْنٍ ، بَلْ لَمْ يُفَكِّرْ في قِدْرِ الزَّيْتونِ الَّتي ائْتَمَنَهُ عَلَيْها .

قَبْلَ شَهْرٍ مِنْ عَوْدَةِ عَلِيٍّ قالَتْ زَوْجَةُ حُسَيْنٍ لَهُ : « لَقَدْ مَضى زَمَنٌ طَويلٌ

لَمْ نَذُقْ فيهِ لِلزَّيْتونِ الأَخْضَرِ طَعْمًا . هَلْ لَكَ أَنْ تَجيئَني بِقَليلٍ مِنْهُ ؟ »

فَأَجابَها : « هَلْ تَتَذَكَّرينَ ؟ مُنْذُ سَبْعِ سَنَواتٍ تَرَكَ عِنْدي عَلي كوجيا قِدْرًا مِنَ الزَّيْتونِ ، وَإِنّي مُتَأَكِّدٌ مِنْ وَفاتِهِ بَعْدَ هٰذِهِ الغَيْبَةِ الطَّويلَةِ . لِماذا لا نَأْكُلُ الزَّيْتونَ الَّذي أَوْدَعَني إِيّاهُ ؟ أَنا ذاهِبٌ لِإِحْضارِ القِدْرِ . »

لٰكِنَّ زَوْجَتَهُ رَفَضَتْ ذٰلِكَ ، وَقالَتْ لَهُ : « حَرامٌ عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَ ذٰلِكَ ، فَقَدْ يَعودُ ، وَيَكْتَشِفُ أَنَّكَ فَتَحْتَ القِدْرَ . مِنَ المُؤَكَّدِ أَنَّ الزَّيْتونَ قَدْ فَسَدَ ، وَلٰكِنَّني أُحِسُّ في قَرارَةِ نَفْسي بِأَنَّ عَلِيًّا كوجيا سَيَعودُ يَوْمًا ما . ما الَّذي سَيَظُنُّهُ بِكَ لَوْ فَتَحْتَ ما ائْتَمَنَكَ عَلَيْهِ ؟ إِيّاكَ إِيّاكَ أَنْ تَفْعَلَ ما انْتَوَيْتَهُ . »

لٰكِنَّ حُسَيْنًا ضَرَبَ بِنَصيحَتِها عُرْضَ الحائِطِ ، وَذَهَبَ إِلى الدُّكّانِ وَفَتَحَ القِدْرَ . وَكانَتِ الطَّبَقَةُ العُلْيا مِنَ الزَّيْتونِ فاسِدَةً تَنْبَعِثُ مِنْها رائِحَةٌ كَريهَةٌ ، فَأَخَذَ يُلْقي بِالفاسِدِ مِنَ الزَّيْتونِ إِلى أَنْ عَثَرَ أَخيرًا عَلى الدَّنانيرِ الذَّهَبِيَّةِ في قَعْرِ القِدْرِ .

عادَ حُسَيْنٌ إِلى زَوْجَتِهِ وَقالَ لَها : « لَقَدْ كُنْتِ عَلى صَوابٍ حينَما قُلْتِ بِأَنَّ الزَّيْتونَ فاسِدٌ ، فَقَدْ وَجَدْتُهُ كَذٰلِكَ . » ثُمَّ ساءَلَ نَفْسَهُ : كَيْفَ أَحْتَفِظُ لِنَفْسي بِالدَّنانيرِ الذَّهَبِيَّةِ إِذا ما عادَ عَلي كوجيا ؟

أَعْمَلَ فِكْرَهُ طَويلًا ، وَوَجَدَ السَّبيلَ إِلى ذٰلِكَ . غادَرَ البَيْتَ وَاشْتَرى كَمِّيَّةً مِنَ الزَّيْتونِ الطّازَجِ ، ثُمَّ أَفْرَغَ القِدْرَ مِنَ الزَّيْتونِ الفاسِدِ وَمَلَأَها بِالزَّيْتونِ الَّذي اشْتَراهُ ، وَأَحْكَمَ إِقْفالَها وَأَعادَها إِلى مَكانِها .

بَعْدَ مُضِيِّ شَهْرٍ ، عادَ عَلي كوجيا إِلى بَغْدادَ ، وَقَصَدَ مَنْزِلَ صَديقِهِ حُسَيْنٍ . وَما إِنْ رَآهُ حُسَيْنٌ حَتّى أَسْرَعَ لِلِقائِهِ وَالتَّرْحيبِ بِمَقْدَمِهِ ، وَهَنَّأَهُ بِوُصولِهِ بِالسَّلامَةِ . ثُمَّ تَحَدَّثَ الرَّجُلانِ بَعْضَ الوَقْتِ ، وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَأْذِنَ عَلي كوجيا لِلْخُروجِ قالَ لِصَديقِهِ : « هَلْ لي أَنْ آخُذَ قِدْرَ الزَّيْتونِ الَّتي تَرَكْتُها وَديعَةً عِنْدَكَ ؟ » فَرَحَّبَ حُسَيْنٌ بِذٰلِكَ وَأَعْطاهُ مِفْتاحَ الدُّكّانِ .

عادَ عَلي كوجيا بِالقِدْرِ إِلى بَيْتِهِ ، وَأَفْرَغَها مِنَ الزَّيْتونِ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَجِدِ الدَّنانيرَ ، فَعادَ مُسْرِعًا إِلى بَيْتِ حُسَيْنٍ وَقالَ لَهُ : « أَيُّها الصَّديقُ ، لَقَدْ وَضَعْتُ أَلْفَ دينارٍ ذَهَبِيٍّ في قَعْرِ القِدْرِ ، وَلٰكِنَّني لَمْ أَجِدِ الدَّنانيرَ . رُبَّما دَعَتْ حاجَتُكَ إِلى المالِ فَأَخَذْتَهُ ، عَلى أَنْ تُعيدَهُ إِلَيَّ بَعْدَ عَوْدَتي . كُلُّ ما أَرْجوهُ مِنْكَ أَنْ تُعيدَ إِلَيَّ مالي حينَما يَتَيَسَّرُ لَكَ ذٰلِكَ . »

أَنْكَرَ حُسَيْنٌ ذٰلِكَ وَرَدَّ قائِلًا : « ثِقْ ، أَيُّها الصَّديقُ ، أَنّي ما لَمَسْتُ قِدْرَكَ قَطُّ . لَقَدْ أَعْطَيْتُكَ ، يَوْمَذاكَ ، مِفْتاحَ دُكّاني لِتَضَعَ القِدْرَ حَيْثُ شِئْتَ ، ها أَنْتَ ذا قَدْ وَجَدْتَها لَمْ تَتَزَحْزَحْ مِنْ مَكانِها . لا تَنْسَ أَنَّكَ عِنْدَما تَرَكْتَها وَديعَةً عِنْدي ، قُلْتَ إِنَّها قِدْرُ زَيْتونٍ ، وَلَمْ تُشِرْ إِلى الدَّنانيرِ مِنْ قَريبٍ أَوْ بَعيدٍ . »

أَخَذَ عَلي كوجيا يُؤَكِّدُ لَهُ أَنَّ الدَّنانيرَ الذَّهَبِيَّةَ كانَتْ في قاعِ القِدْرِ ، وَلٰكِنَّ حُسَيْنًا اسْتَمَرَّ في إِنْكارِهِ قائِلًا :

« يا عَلِيُّ لَقَدِ ائْتَمَنْتَني عَلى قِدْرِ الزَّيْتونِ . وَها أَنْتَ ذا بَعْدَ غِيابِ سَبْعِ سَنَواتٍ ، تَدَّعي بِأَنَّ في القِدْرِ دَنانيرَ ذَهَبِيَّةً . لِمَ لا تَدَّعي بِأَنَّكَ مَلَأْتَ القِدْرَ بِالجَواهِرِ ، وَتُطالِبُني بِدَفْعِ قيمَتِها ؟ لَقَدْ أَصْبَحْتُ أَكْثَرَ اقْتِناعًا بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ

في القِدْرِ زَيْتونٌ أو ذَهَبٌ أَوْ جَواهِرُ أَوْ أَيُّ شَيْءٍ آخَرَ بَلْ كانَتْ فارِغَةً . »

وَأَمامَ إِصْرارِ حُسَيْنٍ عَلى الإِنْكارِ قالَ عَلِيٌّ : « إِذًا فَلْنَحْتَكِمْ إِلى القَضاءِ ، فَالقاضي يَعْرِفُ القانونَ ، وَيُمَيِّزُ بَيْنَ الحَقِّ وَالباطِلِ ، وَبَيْنَ الصِّدْقِ وَالكَذِبِ . وَسَيَأْمُرُكَ بِأَنْ تُعيدَ إِلَيَّ مالي . »

في اليَوْمِ التّالي ، مَثَلَ الاثْنانِ أَمامَ القاضي الَّذي سَأَلَ عَلِيًّا قائِلًا : « ياعَلِيُّ ، هَلْ رَآكَ أَحَدٌ تَضَعُ الذَّهَبَ في القِدْرِ ؟ »

أُجابَ عَلِيٌّ : « كَلّا ياسَيِّدي القاضي ، فَقَدْ كُنْتُ وَحْدي لَمْ يَرَني أَحَدٌ . »

سَأَلَهُ القاضي : « هَلْ أَنْبَأْتَ زَوْجَتَكَ بِما فَعَلْتَ ؟ »

أَجابَ عَلِيٌّ : « كَلّا ، لِأَنّي لَسْتُ مُتَزَوِّجًا . »

سَأَلَهُ القاضي : « هَلْ أَخْبَرْتَ أَيَّ شَخْصٍ آخَرَ بِذَلِكَ ؟ »

أَجابَ عَلِيٌّ : « كَلّا ياصاحِبَ الفَضيلَةِ . »

سَأَلَ القاضي حُسَيْنًا : « هَلْ كُنْتَ تَعْلَمُ بِوُجودِ الذَّهَبِ في القِدْرِ ؟ »

أَجابَ حُسَيْنٌ : « كَلّا ياسَيِّدي القاضي . لَقَدْ أَخْبَرَني بِأَنَّ القِدْرَ مَمْلوءَةٌ زَيْتونًا ، فَصَدَّقْتُهُ . »

سَأَلَهُ القاضي : « هَلْ فَتَحْتَ القِدْرَ ؟ »

أَجابَ حُسَيْنٌ : « كَلّا ، فَقَدْ وَضَعَها بِنَفْسِهِ في مَكانٍ في دُكّاني ، وَلَمْ

تَمْتَدَّ يَدي إِلَيْها مُنْذُ وَضَعَها . »

عِنْدَئِذٍ قَرَّرَ القاضي أَنَّهُ لا يوجَدُ ما يُثْبِتُ حَقَّ عَلِيٍّ فيما يَدَّعيهِ .

اسْتاءَ عَلِي كوجيا أَشَدَّ الاسْتِياءِ مِنْ قَرارِ القاضي ، وَعَزَمَ عَلى رَفْعِ شَكْوى إِلى الخَليفَةِ هارونَ الرَّشيدِ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ صَلاةِ الفَجْرِ . وَما إِنْ تَسَلَّمَ الخَليفَةُ الشَّكْوى حَتّى قالَ : « أَنا في حَيْرَةٍ مِنْ هَذِهِ الشَّكْوى ، وَلا أَجِدُ ما يَهْديني لِلْفَصْلِ فيها . إِمّا أَنْ يَكونَ عَلِيٌّ لِصًّا ، أَوْ ساذَجًا وَثِقَ أَكْثَرَ مِنَ اللّازِمِ في مَحَبَّةِ صَديقِهِ . كَيْفَ يُمْكِنُ لِلْمَرْءِ أَنْ يَعْلَمَ إِنْ كانَتْ قِصَّتُهُ صادِقَةً أَوْ مُخْتَلَقَةً لِابْتِزازِ أَلْفِ دينارٍ مِنْ حُسَيْنٍ ؟ »

طَلَبَ الخَليفَةُ مِنْ كَبيرِ الوُزَراءِ أَنْ يَسْتَدْعِيَ كُلًّا مِنْ عَلِي كوجيا وَحُسَيْنٍ إِلَيْهِ في صَباحِ اليَوْمِ التّالي . وَفي مَساءِ ذَلِكَ اليَوْمِ ، خَرَجَ الخَليفَةُ وَالوَزيرُ مُتَنَكِّرَيْنِ في ثِيابِ فَقيرَيْنِ . وَأَخَذا يَتَمَشَّيانِ في شَوارِعِ المَدينَةِ ، وَفي أَحَدِ الشَّوارِعِ سَمِعا صَخَبًا ، ثُمَّ رَأَيا بابَ غُرْفَةٍ يَنْفَتِحُ قَليلًا . نَظَرا خِلالَ شَقِّ البابِ فَرَأَيا مَجْموعَةً مِنَ الصِّبْيَةِ يَلْعَبونَ في تِلْكَ الغُرْفَةِ . أَخَذا يُراقِبانِهِمْ وَيَسْتَمِعانِ إِلى ما يَقولونَ .

تَكَلَّمَ أَحَدُ الصِّبْيَةِ وَقالَ : « إِنَّ عَلِيًّا كوجيا رَجُلٌ طَيِّبٌ ، فَقَدْ كانَ يَبيعُ لَنا اللُّعَبَ وَالحَلْوى . وَكَثيرًا ما كانَ يُعْطينا الحَلْوى بِدونِ مُقابِلٍ . إِنَّهُ رَجُلٌ صادِقٌ لا يَكْذِبُ . وَقَدْ كانَ القاضي مُخْطِئًا في حُكْمِهِ . »

رَدَّ عَلَيْهِ صَبِيٌّ آخَرُ قائِلًا : « لَقَدْ تَغَيَّبَ عَلِي كوجيا سَبْعَ سَنَواتٍ . رُبَّما غَيَّرَ سُلوكَهُ أَثْناءَها فَأَصْبَحَ لا يَصْدُقُ في أَقْوالِهِ . »

تكلّمَ صبيٌّ ثالثٌ اسمُهُ فارسٌ فقالَ: «هلْ لنا أيُّها الإخوةُ، أنْ نُناقِشَ قضيّةً هي حديثُ المدينةِ؟ لِأكُنِ القاضيَ الّذي يَحْكُمُ في القضيّةِ. أنْتَ، ياكريمُ، ستقومُ بِدَوْرِ علي كوجيا أمّا أنْتَ يازيادُ، فستقومُ بِدَوْرِ حُسَيْنٍ.»

تربّعَ فارسٌ على الأرضِ وقالَ: «إئْتوني بِعَلِيٍّ.»

ولمّا مَثَلَ عليٌّ (كريمٌ) أمامَهُ، قالَ لَهُ: «قُلْ ياعليُّ: أُقْسِمُ باللهِ أنْ أقولَ الحقَّ، كُلَّ الحقِّ، ولا شيْءَ غيرَ الحقِّ.» أقسمَ كريمٌ ثُمَّ عَرَضَ على القاضي حِكايةَ عليٍّ.

طلبَ فارسٌ أنْ يأتوهُ بِحُسَيْنٍ (زيادٍ). ولمّا حضرَ قالَ لهُ: «قُلْ ياحُسَيْنُ: أُقسِمُ باللهِ أنْ أقولَ الحقَّ، كُلَّ الحقِّ، ولاشيْءَ غيرَ الحقِّ.» فأقسَمَ، وحكى قِصّةَ حُسَيْنٍ.



نظرَ فارسٌ إلى عليٍّ (كريمٍ) وسألَهُ: «هلْ أحضرْتَ معكَ قِدْرَ الزّيتونِ؟» ولمّا أجابَهُ بالنّفي أمرَهُ أنْ يذهبَ ويُحضرَها. وعادَ كريمٌ يمشي كما لوْ كانَ يحمِلُ قِدْرًا كبيرةً. سألَ فارسٌ حُسَيْنًا (زيادًا): «هلْ هٰذِهِ القِدْرُ نفسُها؟»

أجابَ (زيادٌ) بأنّها القِدْرُ نفسُها، فأمَرَ فارسٌ كريمًا بِفَتْحِ القِدْرِ.

قامَ كريمٌ وحرّكَ في الهواءِ يديْهِ كما لوْ كانَ يقومُ بِفَتْحِ القِدْرِ، ثُمَّ أدخلَ القاضي رأسَهُ في القِدْرِ، كما لوْ كانَ يتفحّصُ ما فيها وقالَ: «ما أجمَلَ هٰذا الزّيتونَ.»

وبعدَ أنْ وضعَ إصبعيْهِ في فمِهِ كأنّهُ يتذوّقُ حبّةَ الزّيتونِ، أضافَ قائلًا: «ياإلهي ما ألذَّ هٰذا الزّيتونَ، وما أحسَنَ طعمَهُ. لكِنّي لا أظُنُّ أنّ حبّةَ الزّيتونِ ــ بعدَ سبعِ سنواتٍ ــ تكونُ في مِثْلِ هٰذا الطّعمِ. إئْتوني باثنيْنِ مِنْ باعةِ الزّيتونِ.» فمَثَلَ أمامَهُ جميلٌ وسميرٌ، فسألَهُما: «إنّكُما مِنْ باعةِ الزّيتونِ. قولا لي ما المُدّةُ الّتي يُمكِنُ للزّيتونِ أنْ يحتفِظَ خلالَها بمذاقِهِ وصلاحيّتِهِ للأكلِ؟»

أجابَ جميلٌ قائلًا: «لنْ تزيدَ على ثلاثِ سنواتٍ.» أمّا سميرٌ فقدْ قالَ: «حتّى بعدَ سنتيْنِ يتغيّرُ اللّوْنُ والطّعمُ.»

طلبَ منهُما القاضي أنْ ينظرا إلى الزّيتونِ، ويُخبِراهُ عنِ المُدّةِ الّتي مضتْ على وجودِهِ في القِدْرِ. وفحصَ البائعانِ حبّاتِ الزّيتونِ وقالا: «ياحضرةَ القاضي إنّ حبّاتِ الزّيتونِ هٰذِهِ طازجةٌ، ومِنْ محصولِ هٰذا العامِ.»

ما إنْ سَمِعَ ٱلقاضي شَهادةَ ٱلبائِعَيْنِ حَتَّى صاحَ : « خُذوا (حُسَيْنًا) مِنْ مَجْلِسي ، وَلْيُعِدِ ٱلدَّنانيرَ إلى عَلي كوجيا ، وَٱجْلِدوهُ فَهُوَ لِصٌّ . »

دَهِشَ ٱلخَليفَةُ بِما رَآهُ وَسَمِعَهُ وَقالَ : « إِنَّ هٰؤُلاءِ ٱلصِّبْيَةَ حُكَماءُ . ٱئْتوني غَدًا بِٱثْنَيْنِ مِنْ باعَةِ ٱلزَّيْتونِ . وَلْيَحْضُرْ كُلٌّ مِنْ حُسَيْنٍ وَعَلِيٍّ ، عَلى أَنْ يَأْتِيَ عَلِيٌّ وَمَعَهُ قِدْرُ ٱلزَّيْتونِ . »

في صَباحِ ٱليَوْمِ ٱلتّالي جيءَ بِٱلصَّبِيِّ إِلى ٱلخَليفَةِ ٱلَّذي قالَ لَهُ : « لَقَدْ سَمِعْتُكَ ٱللَّيْلَةَ ٱلماضِيَةَ . وَسَتَرى ٱليَوْمَ كُلًّا مِنْ عَلِيٍّ وَحُسَيْنٍ نَفْسَيْهِما . ٱجْلِسْ بِجانِبي . سَيَمْثُلُ ٱلجَميعُ ٱلآنَ أَمامي . » ثُمَّ قالَ لِلقاضي : « سَوْفَ يَسْتَمِعُ هٰذا ٱلغُلامُ إِلى قِصَّتَيْهِما ، وَسَوْفَ تَتَعَلَّمُ مِنْهُ كَيْفَ تُمَيِّزُ ٱلصّادِقَ مِنَ ٱلكاذِبِ وَٱلطَّيِّبَ مِنَ ٱلخَبيثِ . » ثُمَّ أَمَرَ لِلصَّبِيِّ بِمِئَةِ دينارٍ ذَهَبِيٍّ .

ٱنْتَهَتْ شَهْرَزادُ مِنْ حِكايَتِها ٱلَّتي أُعْجِبَ بِها ٱلسُّلْطانُ إِعْجابًا شَديدًا وَقالَ لَها : « إِنَّها قِصَّةٌ رائِعَةٌ . »

قالَتْ شَهْرَزادُ : « أَعْرِفُ قِصَّةً أُخْرى ، يا مَوْلايَ ، عَنْ مَلِكَةٍ أُخِذَ مِنْها أَطْفالُها ، وَعَنِ ٱلمِياهِ ٱلذَّهَبِيَّةِ وَٱلشَّجَرَةِ ٱلمُغَرِّدَةِ وَٱلطَّيْرِ ٱلنّاطِقِ . وَقَدْ لا يَعْرِفُ ٱلعُلَماءُ وَٱلأُدَباءُ في ديوانِكَ هٰذِهِ ٱلقِصَّةَ ، وَأَنا لا وَقْتَ لَدَيَّ لِأَقُصَّها عَلَيْكَ ، وَلَكَ أَنْ تَتَصَوَّرَ جَمالَها . »

قالَ شَهْرَيارُ ، وَقَدِ ٱسْتَبَدَّ بِهِ ٱلشَّوْقُ لِسَماعِ ٱلقِصَّةِ : « عَلَيْكِ يا شَهْرَزادُ أَنْ تُسْمِعيني ٱلقِصَّةَ غَدًا قَبْلَ شُروقِ ٱلشَّمْسِ . »

ٱلفَصْلُ ٱلسّابِعُ

ٱلطّائِرُ ٱلنّاطِقُ وَٱلشَّجَرَةُ ٱلمُغَرِّدَةُ وَٱلماءُ ٱلذَّهَبي

يُحْكى أَنَّ أَحَدَ ٱلأُمَراءِ ، سَمِعَ أَنَّ ٱلخَليفَةَ هارونَ ٱلرَّشيدَ خَرَجَ ذاتَ لَيْلَةٍ مُتَنَكِّرًا في ثِيابِ فَقيرٍ ، وَأَخَذَ يَتَمَشّى في شَوارِعِ بَغْدادَ لِيَسْتَطيعَ أَحْوالَ شَعْبِهِ . وَقَدْ أُعْجِبَ ٱلأَميرُ بِما فَعَلَهُ ٱلخَليفَةُ ، وَعَزَمَ أَنْ يَفْعَلَ ذٰلِكَ عِنْدَما يَلي عَرْشَ بِلادِهِ . وَلَمّا ماتَ والِدُهُ ، خَلَفَهُ في ٱلحُكْمِ . وَذاتَ يَوْمٍ ، لَبِسَ مَلابِسَ فَقيرٍ ، وَخَرَجَ مَعَ وَزيرِهِ لِيَسْمَعَ ما يَقولُهُ شَعْبُهُ عَنْهُ .

بَعْدَ سَيْرٍ طَويلٍ جَلَسَ في ظِلِّ شَجَرَةٍ يَسْتَريحُ . وَفي ظِلِّ شَجَرَةٍ مُجاوِرَةٍ كانَتْ تَجْلِسُ ثَلاثُ أَخَواتٍ يَتَحَدَّثْنَ فيما بَيْنَهُنَّ عَنْ صِفاتِ زَوْجِ ٱلمُسْتَقْبَلِ .

قالَتْ كُبْراهُنَّ : « أَتَمَنّى ٱلزَّواجَ بِخَبّازِ ٱلمَلِكِ ، لِأَنّي أُحِبُّ ٱلخُبْزَ ٱلشَّهِيَّ . »

وَقالَتْ وُسْطاهُنَّ : « أَمّا أَنا فَأَتَمَنّى ٱلزَّواجَ بِطاهي ٱلمَلِكِ لِأَنّي أُحِبُّ ٱلطَّعامَ ٱلدَّسِمَ ٱلشَّهِيَّ . »

وَكانَتْ صُغْراهُنَّ بارِعَةَ ٱلجَمالِ لَمْ تَقَعْ عَيْنُ ٱلمَلِكِ عَلى مِثْلِ جَمالِها ، وَكانَ صَوْتُها عَذْبًا لَمْ يَسْمَعِ ٱلمَلِكُ بِمِثْلِ حَلاوَتِهِ . تَكَلَّمَتْ وَقالَتْ لِأُخْتَيْها : « لَقَدْ شاهَدْتُ ٱلمَلِكَ فَهُوَ وَسيمٌ جِدًّا . وَأَرى فيهِ زَوْجَ ٱلمُسْتَقْبَلِ ٱلمَنْشودَ ، وَلِذا فَإِنّي أَتَمَنّى ٱلزَّواجَ بِهِ . »

ٱلْتَفَتَ ٱلمَلِكُ إِلى وَزيرِهِ ، وَقالَ لَهُ : « جِئْني غَدًا بِهٰؤُلاءِ ٱلفَتَياتِ »

في اليَوْمِ التّالي جيءَ بِهِنَّ إلى ديوانِ المَلِكِ، ومَثَلْنَ أمامَهُ. وسَأَلَهُنَّ المَلِكُ: «هَلْ تَذْكُرْنَ رَغَباتِكُنَّ في حَديثِكُنَّ لَيْلَةَ البارِحَةِ؟ لَقَدْ كُنْتُ جالِسًا بِجِوارِكُنَّ، وسَمِعْتُ ما دارَ بَيْنَكُنَّ مِنْ حَديثٍ. وإنّي لَمُحَقِّقٌ لَكُنَّ رَغَباتِكُنَّ جَميعَها. سَتَتَزَوَّجُ الأُخْتُ الكُبْرى خَبّازَ القَصْرِ، وأمّا الوُسْطى فَسَيَكونُ طاهي القَصْرِ زَوْجَها.» ثُمَّ الْتَفَتَ إلى صُغْراهُنَّ، وقالَ لَها: «هَلْ تَقْبَلينَ الزَّواجَ بي؟»

وهٰكَذا تَحَقَّقَتْ أُمْنِياتُهُنَّ، فَتَزَوَّجَتِ الكُبْرى الخَبّازَ، والوُسْطى الطّاهيَ. أمّا فاطِمَةُ، وهِيَ صُغْرى أَخَواتِها، فَقَدْ أَصْبَحَتِ المَلِكَةَ المُتَوَّجَةَ.

نَهَشَ الحَسَدُ قَلْبَيِ الأُخْتَيْنِ، وقالَتا فيما بَيْنَهُما: «بِمَ تَزَوَّجَ المَلِكُ أُخْتَنا فاطِمَةَ؟ إنّا أَجْمَلُ مِنْها وأَكْبَرُ سِنًّا، وأَرْجَحُ عَقْلًا.» وأَخَذَتا تُفَكِّرانِ في مَكيدَةٍ تُلْحِقُ الضَّرَرَ بِشَقيقَتِهِما، وتَحْمِلُ المَلِكَ عَلى طَلاقِها.

وسَمِعَتا بَعْدَ عامٍ أنَّ المَلِكَةَ تَنْتَظِرُ مَوْلودًا. فَما كانَ مِنْهُما إلّا أنْ قابَلَتا المَلِكَ وسَأَلَتاهُ أنْ يَأْذَنَ لَهُما بِالبَقاءِ مَعَ أُخْتِهِما المَلِكَةِ عِنْدَما تَضَعُ مَوْلودَها. فَلَمْ يُمانِعْ. وأَقامَتِ الأُخْتانِ بِجِوارِ فاطِمَةَ إلى أنْ وَضَعَتْ طِفْلًا جَميلَ المُحَيّا. فَأَخَذَتاهُ ووَضَعَتاهُ في صُنْدوقٍ وأَلْقَتا بِهِ في النَّهْرِ، ثُمَّ جاءَتا بِجَرْوٍ وقالَتا لِلْمَلِكِ: «هٰذا ما وَضَعَتْهُ أُخْتُنا فاطِمَةُ.» فانْزَعَجَ المَلِكُ واسْتاءَ كَثيرًا وغَضِبَ غَضَبًا شَديدًا.

حَمَلَ النَّهْرُ الصُّنْدوقَ، وقَذَفَ بِهِ إلى الشّاطِئِ القَريبِ مِنْ حَديقَةِ

المَلِكِ. ووَجَدَ أَحَدُ عُمّالِ الحَديقَةِ الصُّنْدوقَ فَحَمَلَهُ إلى جَميلٍ رَئيسِ العُمّالِ. اسْتَبْشَرَ جَميلٌ بِالطِّفْلِ وحَمَلَهُ إلى زَوْجَتِهِ. وكانَ الزَّوْجانِ الطَّيِّبانِ مَحْرومَيْنِ مِنَ الأَوْلادِ فَسَعِدا بِالطِّفْلِ واتَّخَذاهُ ابْنًا.

تَكَرَّرَ الشَّيْءُ نَفْسُهُ في العامِ التّالي، حينَما وَضَعَتِ المَلِكَةُ ابْنَها الثّاني. فَقَدْ وَضَعَتْهُ الأُخْتانِ في صُنْدوقٍ، وأَلْقَتا بِهِ في المَكانِ نَفْسِهِ مِنَ الشّاطِئِ. ووَجَدَ أَحَدُ العُمّالِ الطِّفْلَ فَحَمَلَهُ إلى جَميلٍ الّذي اتَّخَذَ مِنْهُ ابْنًا ثانِيًا. اشْتَعَلَ المَلِكُ غَضَبًا، لِأَنَّ زَوْجَتَهُ لَمْ تَلِدْ لَهُ وَلَدًا وقالَ: «إذا وَضَعَتْ فاطِمَةُ جَرْوًا لِلْمَرَّةِ الثّالِثَةِ فَسَأُطَلِّقُها.» ولَمْ يَمْضِ عامٌ آخَرُ، حَتّى وَضَعَتِ المَلِكَةُ طِفْلَةً، وهٰذِهِ المَرَّةَ أَيْضًا وَضَعَتِ الأُخْتانِ الطِّفْلَةَ في صُنْدوقٍ وأَلْقَتا بِهِ في النَّهْرِ. وقَذَفَ النَّهْرُ الصُّنْدوقَ إلى المَكانِ نَفْسِهِ، وحُمِلَتِ الطِّفْلَةُ إلى جَميلٍ فاتَّخَذَ مِنْها بِنْتًا. أمّا المَلِكُ، فَقَدِ احْتَجَزَ فاطِمَةَ



في غرفة تطل على الشارع، يرى الغادي والرائح. الملكة التي لم تستطع أن تنجب للملك طفلا.

شب الطفلان في بيت جميل وترعرعا، وقوي جسماهما، وازدادا وسامة، وكانا يبدوان للناظر وكأنهما أميران يافعان. سمي أحدهما باهمان والآخر برفير، على أسماء ملوك فارس القدماء. أما البنت فقد سميت باريزاد.

اشترى جميل بيتا في الريف، وأنشأ حوله حديقة جميلة، ثم ذهب إلى الملك وقال له: «مولاي! لقد تقدمت بي السن، ولم أعد أقوى على العمل، وإني أتقدم إلى مولاي لعله يجيب رجائي بإعفائي من الخدمة، لأقضي بقية العمر في بيتي مع زوجتي وأولادي.»

وبعد بضع سنوات انتقل جميل وزوجته إلى رحمة الله، دون أن يطلعا باهمان وبرفير وباريزاد على حقيقة عثورهما عليهم وتبنيهما لهم. فكان الولدان والبنت يظنون أنهم أولاد جميل وزوجته، فاستمروا في حياتهم، يقيمون في بيتهم الجميل وينعمون بحديقته اللطيفة.

وذات يوم طرقت بابهم امرأة عجوز وقالت: «لقد حان وقت الصلاة. فهل لي بالدخول لأداء صلاتي؟» وما إن أنهت صلاتها حتى قالت لها باريزاد: «أرجوك أن تتناولي الطعام معنا. وبعد ذلك أريك بيتنا اللطيف وحديقتنا البديعة.»

وبعد الانتهاء من الطعام أخذت باريزاد والمرأة تطوفان في غرف البيت

والحديقة. وقالت لها باريزاد: «ألا ترين أن بيتنا أجمل بيت في المدينة، وأن حديقتنا أجمل ما في الكون؟»

أكدت العجوز ذلك وقالت: «إن ما تقولينه حق. ولكن تنقصه ثلاثة أشياء حتى يكتمل جماله.»

سألتها باريزاد: «وما هذه الأشياء؟ أرجو أن تخبريني حتى أسعى للحصول عليها.»

قالت لها العجوز: «أول هذه الأشياء الطائر الناطق الذي ينطق بالكلام، ويتصف برجاحة العقل وكأنه إنسان. أما ثانيها فهي الشجرة المغردة. وثالثها الماء الذهبي الذي لو صب في نافورة، لما جف ماؤها، أو طغى على جوانبها.»



سألتها باريزاد: «ولكنْ، أينَ أجدُ هذهِ الأشياءَ؟»

أجابتها العجوزُ: «عليكِ أنْ تسيري في الطريقِ المارّةِ ببيتكم لمدّةِ عشرينَ يومًا، ثمّ سلي أوّلَ شخصٍ تقابلينهُ عنْ مكانِ الطائرِ الناطقِ، والشجرةِ المغرّدةِ، والماءِ الذهبيّ.»

عندما عادَ بهمان في المساءِ سألَ أختَهُ: «ماذا بكِ يا أختاهُ؟ لِمَ أنتِ حزينةٌ؟»

أطلعتْ باريزاد أخاها بهمان على حديثِ العجوزِ، فأبدى استعدادَهُ للقيامِ بالرحلةِ، فمانعتْ أختُهُ في ذلكَ خشيةَ أنْ يتعرّضَ للخطرِ. لكنّ بهمان أصرّ على القيامِ بالرحلةِ. وعندَ رحيلِهِ أعطى أختَهُ زجاجةً وقالَ لها: «إنْ كانتْ هذهِ الزجاجةُ لامعةً صافيةً دلّتْ على وصولي بالسلامةِ. أمّا إذا تعكّرَ لونُها، فإنّها تدلُّ على أنّي في خطرٍ.»

انطلقَ بهمان في رحلتِهِ، وفي اليومِ العشرينَ قابلَ رجلًا عجوزًا، يجلسُ على جانبِ الطريقِ، فسألَهُ: «أيّها الشيخُ، لقدْ قدمتُ منْ بلادٍ بعيدةٍ، بحثًا عنِ الطائرِ الناطقِ، والشجرةِ المغرّدةِ والماءِ الذهبيّ. هلْ لكَ أنْ ترشدَني إلى الطريقِ التي يجبُ أنْ أسلكَها؟»

قالَ العجوزُ: «سأرشدُكَ، يا بنيَّ، ولكنّ رحلتَكَ محفوفةٌ بالأخطارِ. هلْ ترى ذلكَ الجبلَ العاليَ الذي لا يُصابُ خوضُهُ؟ سرْ إليهِ حتّى تصلَ إلى سفحِهِ. سترى هناكَ كثيرًا منَ الحجارةِ السوداءِ، وتسمعُ أصواتًا تكيلُ لكَ الكثيرَ منَ الشتائمِ، وتدعوكَ إلى العودةِ منْ حيثُ أتيتَ. وما تلكَ الحجارةُ

السوداءُ إلّا رجالٌ يبحثونَ عنِ الطائرِ الناطقِ، والشجرةِ المغرّدةِ والماءِ الذهبيّ، وتحوّلوا إلى حجارةٍ سوداءَ، لأنّهمُ التفتوا إلى الوراءِ ليتحقّقوا منْ أصحابِ الأصواتِ التي تشتمُهم. وأنصحُكَ ألّا تلتفتَ إلى الوراءِ عندما تصلُ إلى سفحِ الجبلِ، وأنْ تواصلَ الصعودَ إلى القمّةِ. وهناكَ سترى الطائرَ الناطقَ، وهوَ الذي سيدلُّكَ على مكانِ الشجرةِ المغرّدةِ والماءِ الذهبيّ.»

عملَ بهمان بما نصحَهُ بهِ العجوزُ، وسارَ إلى أنْ وصلَ إلى سفحِ الجبلِ، ورأى الحجارةَ السوداءَ وسمعَ الشتائمَ تنهالُ عليهِ، ولكنّهُ لمْ يحفلْ بذلكَ، بلْ أخذَ في صعودِ الجبلِ. وكانتِ الشمسُ شديدةَ الحرارةِ، والطريقُ وعرةَ المسالكِ يصعبُ السيرُ فيها. وقدْ عثرَ بحجرٍ فزلّتْ قدمُهُ. ولمّا نهضَ منْ عثرتِهِ التفتَ إلى الوراءِ. وفي تلكَ اللحظةِ نظرتْ باريزاد ورأتِ الزجاجةَ قدْ تعكّرَ لونُها، فعرفتْ أنّ أخاها في خطرٍ.

ولمّا علمَ برفيز أنّ أخاهُ في خطرٍ، قرّرَ الإسراعَ إلى نجدتِهِ. وقبلَ أنْ ينطلقَ في مسيرتِهِ، قالَ لأختِهِ: «إنْ كنتُ في خطرٍ، اسودَّ لونُ الزجاجةِ كالفحمِ. ولكنْ إذا صفا لونُها، فاعلمي أنّي وجدتُ أخي، وأنّني في سبيلِ العودةِ بهِ إليكِ.»

انطلقَ برفيز سالكًا الطريقَ نفسَها التي سلكَها أخوهُ، والتقى الرجلَ العجوزَ فسألَهُ عنْ أخيهِ قائلًا: «أيّها الشيخُ هلْ مرَّ بكَ أخي؟ وهلْ سألكَ عنِ الطائرِ الناطقِ، والشجرةِ المغرّدةِ، والماءِ الذهبيّ؟»

أجابَهُ العجوزُ: «إنّ شابًّا صغيرًا شديدَ الشبهِ بكَ مرَّ بي، وأرشدتُهُ إلى

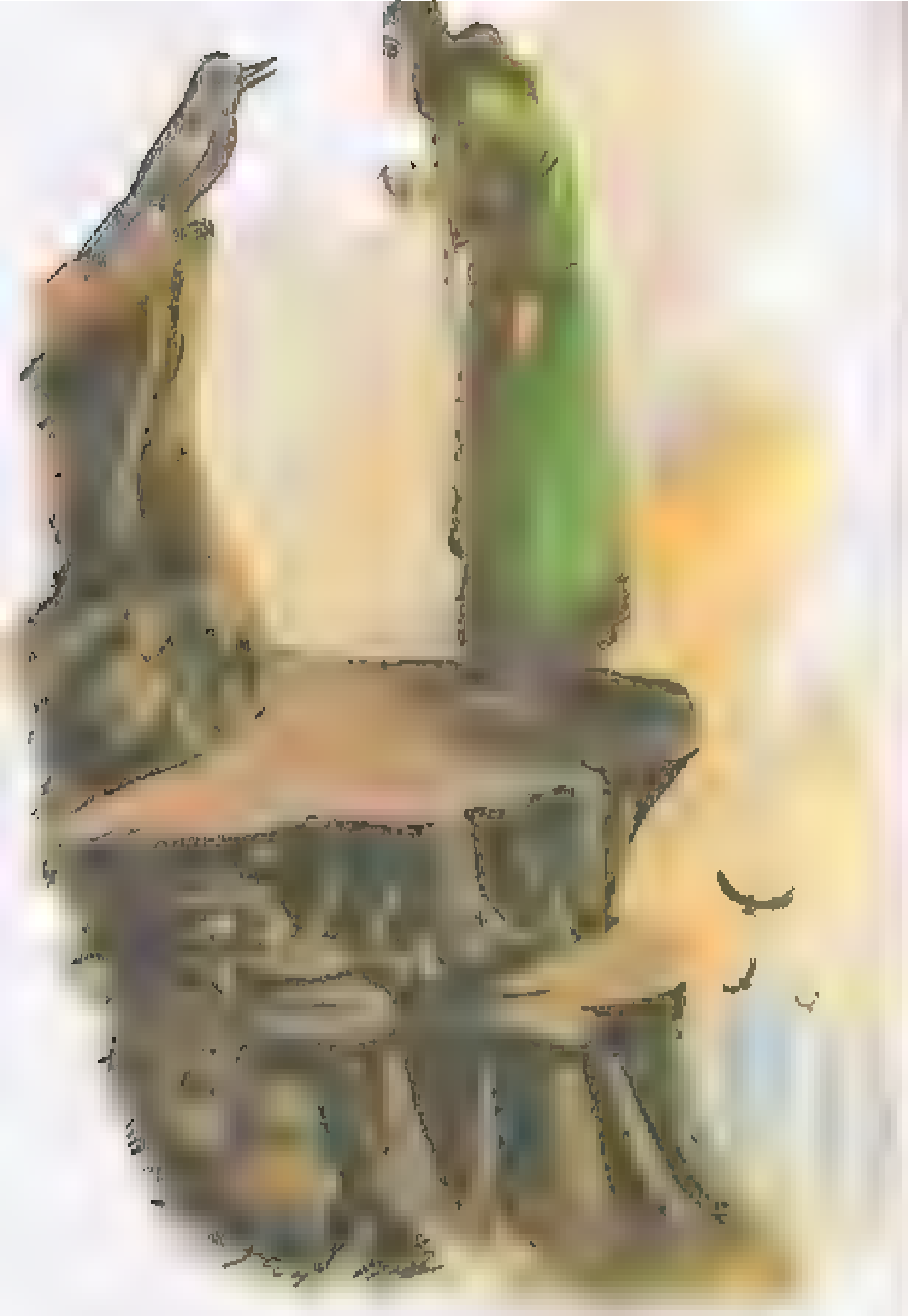
الطَّريقِ الَّتي يَجِبُ أَنْ يَسْلُكَها. كَما أَنّي نَصَحْتُهُ بِأَلّا يَلْتَفِتَ إِلى الوَراءِ عِنْدَ صُعودِهِ الجَبَلَ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ بِنَصيحَتي، فَتَحَوَّلَ إِلى حَجَرٍ أَسْوَدَ.»

تَرَكَ بَرْويز الرَّجُلَ العَجوزَ وَسارَ في الطَّريقِ نَفْسِها الَّتي سارَ فيها بَهْمان حَتّى بَلَغَ الجَبَلَ، وَأَخَذَ في تَسَلُّقِهِ. وَسَمِعَ صَوْتًا يَدْعوهُ إِلى العَوْدَةِ، فَقالَ: «قَدْ يَكونُ هذا صَوْتَ أَخي.» وَعِنْدَما الْتَفَتَ إِلى الوَراءِ لِيَتَحَقَّقَ مِنْ صاحِبِ الصَّوْتِ تَحَوَّلَ إِلى حَجَرٍ أَسْوَدَ.

ما إِنْ رَأَتْ باريزاد لَوْنَ الزُّجاجَةِ قَدِ اسْوَدَّ كَالفَحْمِ، حَتّى عَزَمَتْ عَلى إِنْقاذِ أَخَوَيْها. وَسارَتْ في طَريقِها إِلى أَنْ قابَلَتِ الرَّجُلَ العَجوزَ الَّذي أَنْبَأَها بِما حَدَثَ لِأَخَوَيْها، وَحَذَّرَها مِنَ الالْتِفاتِ إِلى الخَلْفِ إِذا سَمِعَتْ أَصْواتَ الشَّتائِمِ، وَإِلّا أَصابَها ما أَصابَ أَخَوَيْها؛ فَهَداها تَفْكيرُها لِأَنْ تَضَعَ قِطَعًا مِنَ القُماشِ في أُذُنَيْها حَتّى لا تَسْمَعَ الأَصْواتَ. وَعِنْدَما بَلَغَتْ قاعِدَةَ الجَبَلِ، أَخَذَتْ في تَسَلُّقِهِ، وَبَدَأَتْ أَصْواتُ الشَّتائِمِ تَنْهالُ عَلَيْها مِنْ كُلِّ جانِبٍ، وَتَدْعوها إِلى العَوْدَةِ، وَلكِنَّها لَمْ تَكُنْ تَسْمَعُ شَيْئًا بِسَبَبِ القُماشِ الَّذي وَضَعَتْهُ في أُذُنَيْها. وَاسْتَمَرَّتْ في تَسَلُّقِها حَتّى بَلَغَتِ القِمَّةَ وَهُناكَ وَجَدَتِ الطّائِرَ النّاطِقَ.

أَخْرَجَتْ باريزاد القُماشَ مِنْ أُذُنَيْها، ثُمَّ قالَتْ لِلطّائِرِ: «قُلْ لي، أَيُّها الطّائِرُ، أَيْنَ أَجِدُ الشَّجَرَةَ المُغَرِّدَةَ، وَالماءَ الذَّهَبِيَّ؟»

أَجابَها: «ها هُما قَريبانِ مِنْكِ. أَلا تَسْمَعينَ الشَّجَرَةَ تَشْدو بِأَعْذَبِ الأَلْحانِ؟ خُذي غُصْنًا مِنْها وَازْرَعيهِ في حَديقَتِكِ، فَيُصْبِحَ شَجَرَةً غَنّاءَ.



وَخُذي مِنَ الماءِ الذَّهَبِيِّ وَضَعيهِ في زُجاجَةٍ فَيُصْبِحَ نافورَةً في الحَديقَةِ.»

سَأَلَتْهُ: «كَيْفَ أَسْتَطيعُ إِنْقاذَ أَخَوَيَّ؟»

أَجابَ الطّائِرُ: «سَتَجِدينَ جَرَّةَ ماءٍ بِالقُرْبِ مِنَ الشَّجَرَةِ. فَخُذيها وَسُكّي قَليلًا مِنْ مائِها عَلى الحَجَرَيْنِ الأَسْوَدَيْنِ فَيَعودا كَما كانا.»

هبطت باريراد الجبل ومعها الطائر الناطق وغصن الشجرة المغردة والماء الذهبي وجرة الماء. وعند أسفل الجبل سكبت قليلا من ماء الجرة على الحجرين الأسودين فعاد أخواها إلى هيئتهما الطبيعية. وكم كانت فرحة الإخوة عظيمة عندما عادوا معا إلى بيتهم بالصحة والسلامة. وفي البيت غرسوا الشجرة، وعملوا نافورة بالماء الذهبي. أما الطائر الناطق فقد وضعوه في قفص ذهبي.

سمع الناس بهذه الغرائب، فأخذوا يتوافدون من أقصى البلاد وأدناها لمشاهدتها. وقد سمع الملك بها، فقدم ليراها بعينيه. وفي البيت رأى النافورة الذهبية، والشجرة المغردة تطرب السامعين بجميل الألحان وأعذبها. ونظر الملك إلى وزيره، وأخبره برغبته في لقاء أصحاب البيت، فخرج باهمان وبرفير للقاء الملك.

عندما رآهم الملك قال: «يا ربي، لم لم تلد لي الملكة ولدين كهذين الشابين الوسيمين؟ لم لم أرزق بأولاد؟»

تقدم باهمان وبرفير من الملك وسلما عليه ودعواه والوزير إلى البيت.

عندما رأى الملك باريراد، قال بنفسه: إن وجهها شديد الشبه بوجه الملكة. يا إلهي، لا اعتراض على حكمك، لم لم ترزقني ببنت جميلة كهذه؟

رافقت باريراد الملك والوزير إلى مكان الطائر الناطق، وقالت له: «أيها الطائر إن ضيفنا هو الملك. أرجو أن تحدثه.»

نطق الطائر وقال: «يا صاحب الجلالة أتمنى أن يمد الله في عمرك ويهب لك السعادة. هل من سؤال ترغب في توجيهه إلي؟» فقال الملك: «نعم أيها الطائر، قل لي: لم لم أرزق بولدين وسيمين كهذين وبنت حلوة مثل باريراد؟»

صاح الطائر: «أيها الملك، إن هذين الشابين ولداك، كما أن باريراد هي ابنتك.» ثم قص عليه ما فعلته أختا الملكة بأطفالها. وطلب منه أن يسألهما ويحثهما على قول الصدق، كما رجاه أن يطلق سراح الملكة لترى أبناءها، وتعود ملكة على البلاد.

عم الفرح قصر الملك، والتأم شمل الأسرة وعاشوا في هناءة وسعادة.

* * *

انتهت شهرزاد من حكايتها، ثم التفتت إلى السلطان قائلة: «أعرف قصة الإخوة الثلاثة الذين كانوا يتنافسون على الزواج بأميرة. هل يستطيع السلطان أن يقول أي الثلاثة يصلح لها، ويجعل حياتها سعيدة؟ ربما يحلو لك، أيها السلطان، أن تفكر في الجواب.»

ولكن السلطان اعتذر وأعرب عن عدم رغبته في التفكير في الجواب، بل طلب منها أن تقص عليه هذه الحكاية قبل شروق الشمس في اليوم التالي.

الفصل الثامن

الأميرة والإخوة الثلاثة

كان لأحد السلاطين ثلاثة أولاد، هم: حسين وعلي وأحمد. وكانت الأميرة ليلى – بنت أخيه الأصغر – صغيرة، عندما مات والدها، فكفلها عمها السلطان، وعاشت مع أولاد عمها تحت سقف واحد. وكانت رغبة السلطان أن يزوج الأميرة ليلى بابن ملك في بلد ليس ببعيد. ولكنه لاحظ أن أولاده يحبونها ويتمنى كل واحد أن تكون ليلى زوجته. وكان السلطان في خلواته يسائل نفسه: ربّاه ماذا عساي أن أفعل؟ بمن أزوجها؟ وعلى أي أساس أختار أحدهم دون أخويه؟ هل أطلب من علي وأحمد أن يتخليا عن فكرة الزواج بليلى لأخيهما الأكبر؟ لست أدري ماذا أفعل؟!

يستدعي السلطان الأميرة ليلى، وسألها رأيها فيمن تختار من بين أولاد عمها ليكون زوجا لها. فأجابته بقولها: «إن أولاد عمي سواسية لديّ، وأنا أعيش معهم تحت سقف واحد، وأحبهم جميعا دون تمييز. لم لا نفعل شيئا نختبر به مدى حب كل واحد منهم لي؟»

أعجب السلطان بالفكرة، واستدعى أولاده وقال لهم: «على كل منكم أن يسافر لمدة عام. وكما تعلمون، فإني أهوى كل شيء طريف ومفيد. ومن يعد منكم إلي بشيء أفضل مما يحمله أخواه، فستكون ليلى زوجته. وسأعطي الواحد منكم خمسمئة دينار ذهبي لتدبير أموره، وشراء أفضل ما يراه.»

جهز الإخوة الثلاثة أنفسهم بسفر صباح اليوم التالي، وودعوا أباهم

وابنة عمهم وانطلقوا معا حتى وصلوا إلى مفترق ثلاث طرق. واتفقوا فيما بينهم أن يقضوا ليلتهم في ذلك المكان، ويختار كل واحد طريقه في صباح اليوم التالي. واتفقوا أن يكون موعد لقائهم بعد عام في المكان نفسه، ليعودوا إلى أبيهم بما يحمله كل واحد منهم.

بعد عدة أشهر وصل أكبرهم – حسين – إلى مدينة بسناجر، ذات المتاجر الكبيرة والشوارع العريضة المسقفة. وكان في كل شارع من شوارع السوق متاجر متخصصة: فهذا شارع لبيع المواد الغذائية، وذاك لبيع الذهب والجواهر، وثالث لبيع الأثاث...

أخذ حسين يجول في الشوارع، فرأى بضائع نفيسة وجميلة، لم ير مثلها من قبل. ومع ذلك يستبد به القلق، فأخذ يحادث نفسه: إنني متأكد من أن ما رأيته في الأسواق سيعجب والدي. ولكني لا أستبعد أن يجد أخواي – علي وأحمد – ما هو أفضل. وبذا تفوتني فرصة الزواج بابنة عمي، الأميرة ليلى. يجب أن أستمر في البحث عن الأفضل، بل عن شيء لم تر عيني مثيلا له من قبل.

ذات يوم ساقته قدماه إلى شارع تجار السجاجيد. ولكن السير الطويل كان قد أنهكه، فجلس أمام متجر صغير. وما إن رآه صاحب المتجر، حتى رحب به وقال له: «أيها الضيف ماذا تحب أن تشتري؟ في متجري أنواع من السجاجيد الفاخرة، ستجد من بينها ما يعجبك.»

سأله حسين: «ياهذا، هل لديك سجادة لا نظير لها في العالم؟» أجابه صاحب المتجر على الفور: «لديّ البساط السحري، وهو الوحيد

مِنْ نَوْعِهِ . إذ جلستَ فوقَهُ وقلتَ لهُ (أيُّها البساطُ : طِرْ بي إلى بغدادَ ... إلى القاهرةِ ... إلى أيِّ مكانٍ في العالمِ) ، فإنَّ البساطَ سيُلبّي طلَبَكَ ، في لمحِ البصرِ ، ويَشُقُّ الفضاءَ ، ويَحُطُّ بكَ في المكانِ الذي تُريدُهُ . »

انشرحَ صدرُ حُسَيْنٍ ، وطلبَ مِنَ التاجرِ أنْ يسمحَ لهُ بتجربةِ البساطِ ، فلمْ يُمانِعْ ، على أنْ يُرافِقَهُ في رحلتِهِ ليُعلِّمَهُ قيادَتَهُ . وجاءَ التاجرُ ببساطٍ صغيرٍ عتيقٍ وجلسَ الاثنانِ فوقَهُ ، وتولّى التاجرُ توجيهَهُ قائلاً : « أيُّها البساطُ ، طِرْ بنا إلى دِمَشْقَ . » وما هِيَ إلّا دقائقُ حتّى شاهدا مِنَ الجوِّ مدينةً عامرةً ، أسواقُها مسقوفةٌ ، والنَّهْرُ يجري وسَطَها .

قالَ التاجرُ : « أيُّها البساطُ ، تابعْ طيرانَكَ إلى القاهرةِ . » وما هِيَ إلّا دقائقُ حتّى شاهدا مِنْ علٍ مدينةَ القاهرةِ بشوارعِها ومعالمِها الحضاريّةِ وأهرامِها الناطقةِ بعظمةِ تاريخِها .

قالَ التاجرُ : « أيُّها البساطُ ، عُدْ بنا الآنَ إلى بِسْناجارَ . » وبعدَ بِضْعِ دقائقَ نزلَ بهِما البساطُ أمامَ المتجرِ . وفي الحالِ دفعَ حُسَيْنٌ خمسَمِئةِ دينارٍ ذهبيٍّ ثمنًا للبساطِ السحريِّ ، وقدْ تملَّكَهُ فرحٌ شديدٌ أنَّ فرصةَ الظَّفَرِ بالأميرةِ ليلى قريبةٌ . لقدْ كانَ متيقِّنًا بأنَّ أخوَيْهِ عليًّا وأحمدَ سيعجزانِ عنْ إحضارِ ما هوَ أفضلُ مِنَ البساطِ السحريِّ .

أمّا عليٌّ فقدْ وصلَ ، بعدَ مسيرةِ أربعةِ أيّامٍ ، إلى مدينةِ شيرازَ في بلادِ فارسَ في زيِّ تاجرِ جواهرَ . وتشتهرُ شيرازُ بشوارعِها البديعةِ التنسيقِ وميادينِها الفسيحةِ ومتاجرِها العامرةِ بأجملِ البضائعِ وأدقِّ الصناعاتِ .



جالَ عَلِيٌّ في شَوارِعِها ، وَرَأى ما أثارَ إعْجابَهُ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَطْمَئِنَّ إلى جَوْدَةِ ما رَأى فَسارَ شارِدَ الذِّهْنِ ، قَلِقَ النَّفْسِ ، مُضْطَرِبَ الفِكْرِ ، وَقالَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ : إنَّ ما أراهُ في هٰذِهِ المَدينَةِ ، قَدْ يَتَوافَرُ في مُدُنٍ أُخْرى . وَلَوِ اشْتَرَيْتُ شَيْئًا أَعْجَبَني كَثيرًا ، فَمَنْ يَضْمَنُ لي أَلّا يَشْتَرِيَ أَحَدُ شَقيقَيَّ ما هو أفْضَلُ مِنْهُ ؟

اِسْتَعاذَ عَلِيٌّ بِاللهِ مِمّا أصابَهُ مِنْ قَلَقٍ وَوَساوِسَ ، وَعاوَدَ التَّجَوُّلَ في الشَّوارِعِ ، إلى أنْ مَرَّ ذاتَ يَوْمٍ بِمَتْجَرٍ لِبَيْعِ الأَشْياءِ النّادِرَةِ ، فَدَخَلَهُ وَأَخَذَ يَجولُ فيهِ ، فَوَجَدَ أشْياءَ كَثيرَةً نادِرَةً وَغَريبَةً . وَأَخَذَ يُفَكِّرُ ماذا يَشْتَري مِنْ بَيْنِ تِلْكَ الأَشْياءِ ؟

كانَ التَّرَدُّدُ ظاهِرًا عَلَيْهِ ، حَتّى إنَّهُ أَخَذَ يُخاطِبُ نَفْسَهُ قائِلًا : قَدْ تَكونُ هُناكَ مَتاجِرُ أُخْرى في بِلادٍ غَيْرِ هٰذا البَلَدِ ، تَعْرِضُ ما هُوَ أفْضَلُ وَأغْرَبُ مِنْ هٰذِهِ الأَشْياءِ .

وَبَيْنَما هُوَ غارِقٌ في التَّفْكيرِ ، قَطَعَ عَلَيْهِ صاحِبُ المَتْجَرِ تَفْكيرَهُ قائِلًا : « أهْلًا بِكَ في شيراز . هَلْ أعْجَبَكَ شَيْءٌ في مَتْجَري فَآتيكَ بِهِ ؟ »

فَأجابَهُ عَلِيٌّ : « أُريدُ شَيْئًا غَريبًا نادِرًا لا مَثيلَ لَهُ في العالَمِ »

قالَ لَهُ التّاجِرُ : « قَبْلَ بِضْعَةِ أيّامٍ مَرَّ بِمَتْجَري رَجُلٌ عَجوزٌ يَحْمِلُ مِرآةً سِحْرِيَّةً تُمَكِّنُ صاحِبَها مِنْ رُؤْيَةِ ما يُريدُ رُؤْيَتَهُ ، وَإنْ كانَ في بِلادٍ بَعيدَةٍ . وَقَدْ طَلَبَ العَجوزُ خَمْسَمِئَةِ دينارٍ ذَهَبِيٍّ ثَمَنًا لَها . وَإنّي أُؤَكِّدُ لَكَ أنَّهُ لا مَثيلَ لِهٰذِهِ المِرْآةِ في العالَمِ ، وَلَوِ اشْتَرَيْتَها لَفُزْتَ بِمُبْتَغاكَ . »

لٰكِنَّ عَلِيًّا رَأى أنَّ الثَّمَنَ مُرْتَفِعٌ فَقالَ لِلتّاجِرِ : « تَقولُ إنَّ ثَمَنَها خَمْسُمِئَةِ دينارٍ ذَهَبِيٍّ ! إنَّهُ لَثَمَنٌ مُرْتَفِعٌ ! »

وَلٰكِنَّ التّاجِرَ شَهِدَ لِلرَّجُلِ العَجوزِ بِالتَّقْوى وَشِدَّةِ الوَرَعِ وَالصِّدْقِ فَقالَ : « ياصاحِبي ! أُؤَكِّدُ لَكَ ، وَاللهُ عَلى ما أقولُ شَهيدٌ ، أنَّ صاحِبَ المِرْآةِ السِّحْرِيَّةِ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ يَعْرِفُ رَبَّهُ . وَإذا قالَ أنْ لا مَثيلَ لِمِرْآتِهِ في العالَمِ ، فَهُوَ صادِقٌ فيما يَقولُ . وَعَلى أيَّةِ حالٍ سَأَجيئُكَ بِهِ لِتَتَحَدَّثَ مَعَهُ . »

قَدِمَ العَجوزُ وَمَعَهُ المِرْآةُ السِّحْرِيَّةُ وَقالَ لِعَلِيٍّ : « يابُنَيَّ ! إنْ تَنْظُرْ فيها ، تَرَ الشَّخْصَ أوِ الشَّيْءَ الَّذي تَتَمَنّى رُؤْيَتَهُ . إلَيْكَ المِرْآةَ لِتَتَأَكَّدَ مِنْ صِدْقِ قَوْلي . » وَسُرْعانَ ما نَظَرَ عَلِيٌّ في المِرْآةِ فَرَأى والِدَهُ في ديوانِهِ يَتَحَدَّثُ مع وَزيرِهِ ، كَما رَأى الأَميرَةَ لَيْلى وَوَصيفاتِها يَتَمَشَّيْنَ في الحَديقَةِ وَهُنَّ



يَتَضاحَكُونَ. فَلَمْ يَتَرَدَّدْ ثانِيَةً واحِدَةً في شِراءِ المِرْآةِ السِّحْرِيَّةِ. ثُمَّ أَخَذَ يُجَهِّزُ نَفْسَهُ لِلْعَوْدَةِ إلى المَكانِ الَّذي اتَّفَقَ مَعَ أَخَوَيْهِ عَلى اللِّقاءِ فيهِ.

أَمّا الأَميرُ أَحْمَدُ، فَقَدْ تابَعَ السَّيْرَ حَتّى بَلَغَ مَدينَةَ سَمَرْقَنْدَ، وَطافَ بِمَتاجِرِ الثِّيابِ وَالسَّجاجيدِ وَالجَواهِرِ وَغَيْرِها. وَرَأى الكَثيرَ مِنَ البَضائِعِ الفاخِرَةِ وَالحاجاتِ النَّفيسَةِ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَخْتَرْ شَيْئًا يَشْتَريهِ، خَشْيَةَ أَنْ يَجِدَ أَخَواهُ حُسَيْنٌ وَعَلِيٌّ ما هُوَ أَفْضَلُ.

بَيْنَما هُوَ جالِسٌ في شارِعِ الصِّناعَةِ، سَمِعَ شَخْصًا يُنادي عَلى بِضاعَتِهِ قائِلًا: «أَيُّها النّاسُ، تَعالَوْا وَانْظُروا! هٰذِهِ تُفّاحَةٌ ثَمَنُها خَمْسُمِئَةِ دينارٍ ذَهَبِيٍّ. هَلْ مِنْ مُشْتَرٍ؟»

اِسْتَغْرَبَ أَحْمَدُ وَقالَ لِلْبائِعِ: «لَقَدْ غالَيْتَ كَثيرًا في الثَّمَنِ. أَيْنَ مَنْ يَدْفَعُ لَكَ هٰذا المَبْلَغَ ثَمَنًا لِتُفّاحَةٍ؟ إِنَّ طَلَبَكَ مَرْفوضٌ، وَلا يَقْبَلُهُ العَقْلُ.»

أَجابَهُ البائِعُ: «اِسْمَعْ أَيُّها الشّابُّ، إِنَّها تُفّاحَةٌ سِحْرِيَّةٌ، يُشْفى المَريضُ بِمُجَرَّدِ شَمِّها، وَقَدْ أَعْطانيها ساحِرٌ حَكيمٌ. لَقَدْ أَنْقَذَ السّاحِرُ الكَثيرينَ مِمَّنْ كانوا عَلى فِراشِ المَوْتِ. وَقَدْ تَسْتَغْرِبُ وُجودَها مَعي وَعَرْضَها لِلْبَيْعِ، فَصاحِبُها السّاحِرُ خَرَجَ في سَفَرٍ طَويلٍ، وَنَسِيَ أَنْ يَأْخُذَها مَعَهُ. وَقَدْ مَرِضَ مَرَضًا شَديدًا فَأَرْسَلَ رَسولًا يُحْضِرُها لَهُ، وَلٰكِنَّهُ فارَقَ الحَياةَ قَبْلَ عَوْدَةِ الرَّسولِ.»

شَهِدَ الكَثيرونَ بِأَنَّ التُّفّاحَةَ السِّحْرِيَّةَ أَنْقَذَتْ زَوْجاتٍ وَأَطْفالًا مِنْ مَوْتٍ مُؤَكَّدٍ. وَأَخيرًا اقْتَنَعَ أَحْمَدُ بِما سَمِعَ، وَاشْتَرى التُّفّاحَةَ، وَرَحَلَ عَنْ

سَمَرْقَنْدَ إلى المَكانِ الَّذي اتَّفَقَ الإِخْوَةُ عَلى اللِّقاءِ فيهِ.

بَعْدَ مُضِيِّ عامٍ مِنْ سَفَرِهِمْ، الْتَقى الإِخْوَةُ، وَعَرَضَ كُلُّ واحِدٍ ما أَحْضَرَهُ. وَتَشاءُ المُصادَفَةُ أَنْ يَنْظُرَ حُسَيْنٌ في حِلالِ المِرْآةِ السِّحْرِيَّةِ، عَلى أَمَلِ أَنْ يَرى الأَميرَةَ لَيْلى. وَإِذا بِهِ يَصْرُخُ وَيَقولُ: «يالَلْمُصيبَةِ! إِنَّ الأَميرَةَ لَيْلى مَريضَةٌ جِدًّا، وَهِيَ عَلى فِراشِ المَوْتِ.»

ما إِنْ سَمِعَ الأَخَوانِ هٰذا الخَبَرَ المُفْجِعَ حَتّى كادا يُصْعَقانِ. فَتَكَلَّمَ أَحْمَدُ وَقالَ: «عَلَيْنا أَنْ نَعودَ في الحالِ، وَسَأُنْقِذُ لَيْلى بِتُفّاحَتي السِّحْرِيَّةِ.» وَلٰكِنَّ الوَقْتَ كانَ يَمُرُّ سَريعًا، وَكُلُّ دَقيقَةٍ لَها ثَمَنُها، لِأَنَّ حالَةَ لَيْلى كانَتْ تُنْذِرُ بِالخَطَرِ، فَقَدْ تُفارِقُ الحَياةَ قَبْلَ وُصولِهِمْ. عِنْدَئِذٍ قالَ حُسَيْنٌ لِأَخَوَيْهِ: «سَنَرْكَبُ البِساطَ السِّحْرِيَّ، قَبْلَ فَواتِ الأَوانِ.»

بَعْدَ دَقائِقَ مَعْدوداتٍ كانوا في غُرْفَةِ الأَميرَةِ. وَأَسْرَعَ أَحْمَدُ، وَقَرَّبَ التُّفّاحَةَ مِنْ أَنْفِها فَفَتَحَتْ عَيْنَيْها، وَنَظَرَتْ إلى وَصيفاتِها، وَقالَتْ: «لَقَدْ كُنْتُ في نَوْمٍ عَميقٍ، وَأُريدُ أَنْ أَنْهَضَ مِنْ فِراشي وَأَلْبَسَ ثِيابي.»

غادَرَ الأُمَراءُ الغُرْفَةَ، وَذَهَبوا إلى والِدِهِمُ السُّلْطانِ وَبَدَأَ حُسَيْنٌ الحَديثَ قائِلًا: «هَلْ لَكَ يا والِدي أَنْ تَنْظُرَ إلى هٰذا البِساطِ السِّحْرِيِّ الَّذي لا مَثيلَ لَهُ في العالَمِ. فَهُوَ الَّذي حَمَلَنا إلى القَصْرِ في مِثْلِ تِلْكَ السُّرْعَةِ، فَأَنْقَذَ حَياةَ لَيْلى. إِنَّهُ بِساطي، وَأَنا الأَحَقُّ بِأَنْ أَتَزَوَّجَها.»

قالَ أَحْمَدُ: «أَنا أَنْقَذْتُ حَياتَها بِالتُّفّاحَةِ السِّحْرِيَّةِ، وَأَنا أَحَقُّ بِأَنْ أَتَزَوَّجَها.»



قالَ عَلِيٌّ : « لَوْلا مِرْآتي السِّحْرِيَّةُ لَما عَلِمْنا بِمَرَضِها ، وَلَما تَيَسَّرَ لَنا الوُصولُ في الوَقْتِ المُناسِبِ . وَإِنْقاذُ حَياتِها ، وَإِنّي أُصِرُّ عَلى أَنْ تَكونَ لَيْلى زَوْجَتي . »

قالَ حُسَيْنٌ : « وَلٰكِنْ لا تَنْسَ يا عَلِيُّ ، لَوْلا بِساطي السِّحْرِيُّ ، لَما وَصَلْنا في الوَقْتِ المُناسِبِ ، وَأَنْقَذْنا حَياتَها . وَإِنّي مُصِرٌّ عَلى قَوْلي بِأَنّي أَوْلى بِها مِنْكُما . »

قالَ أَحْمَدُ : « أُؤَكِّدُ ثانِيَةً أَنَّهُ لَوْلا تُفّاحَتي السِّحْرِيَّةُ لَما كُتِبَ لَها الشِّفاءُ ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ لَيْلى سَتَكونُ زَوْجَتي أَنا . »

وَجَدَ السُّلْطانُ نَفْسَهُ في حَيْرَةٍ ، فَهُوَ لا يَدْري أَيُّهُمْ أَحَقُّ بِالزَّواجِ بِلَيْلى .

* * *

وَهُنا تَوَقَّفَتْ شَهْرَزادُ عَنِ الكَلامِ قَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ حِكايَتُها . وَدَفَعَ حُبُّ الاسْتِطْلاعِ السُّلْطانَ أَنْ يَسْأَلَها : « أَخْبِريني : أَيُّ الإِخْوَةِ سَيَكونُ لِلأَميرَةِ ؟ ماذا قالَ والِدُهُمْ ؟ »

عِنْدَئِذٍ نَظَرَتْ شَهْرَزادُ عَبْرَ النّافِذَةِ وَقالَتْ : « ها هِيَ ذي الشَّمْسُ تُشْرِقُ ، وَعَلَيَّ أَنْ أَتَوَقَّفَ عَنِ الكَلامِ . فَانْتَظِروا حَتّى غَدٍ . وَإِذا مِتُّ قَبْلَ غَدٍ فَابْحَثوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ الجَوابِ . »

في صَباحِ اليَوْمِ التّالي ، اسْتَأْنَفَتْ شَهْرَزادُ حِكايَتَها بِسَرْدِ الحِوارِ الطَّريفِ بَيْنَ السُّلْطانِ وَأَوْلادِهِ .

قالَ السُّلْطانُ : « يا حُسَيْنُ ! هَلْ سَتُعْطي زَوْجَتَكَ البِساطَ السِّحْرِيَّ بَعْدَ الزَّواجِ ؟ »

قالَ حُسَيْنٌ : « كَلّا يا والِدي بَلْ سَنَطيرُ عَلَيْهِ مَعًا ، وَلَنْ أَدَعَها تَذْهَبُ وَحْدَها وَتَتْرُكُني خَلْفَها . »

قالَ السُّلْطانُ : « يا عَلِيُّ ! هَلْ سَتُعْطي لَيْلى المِرْآةَ السِّحْرِيَّةَ بَعْدَ الزَّواجِ ، أَمْ أَنَّكَ سَتَحْتَفِظُ بِها لِنَفْسِكَ ؟ »

قالَ عَلِيٌّ : « سَأَحْتَفِظُ بِها بِنَفْسي ، لِأَنّي أُحِبُّ أَنْ أَرى زَوْجَتي مِثْلَ

الْمَرّاتِ كُلَّ يَوْمٍ . أَمّا هِيَ فَلا تُحِبُّ أَنْ تَرانِي لِأَنِّي لَسْتُ وَسِيمًا . »

قالَ السُّلْطانُ : « يا أَحْمَدُ ؟ هَلْ تَتَنازَلُ عَنِ التُّفّاحَةِ السِّحْرِيَّةِ لِلَيْلى بَعْدَ زَواجِكُما ؟ »

قالَ أَحْمَدُ : « بِكُلِّ سُرُورٍ ! سَأَمْنَحُها التُّفّاحَةَ مِلْكًا لَها دُونَ غَيْرِها . »

سَأَلَ السُّلْطانُ : « وَلِمَ سَتَتَنازَلُ عَنْها ؟ »

أَجابَ أَحْمَدُ : « لِأَنَّها لَوْ ماتَتْ ، لا قَدَّرَ اللّهُ ، لَما طابَتْ لِي الْحَياةُ بِدُونِها . »

قالَ السُّلْطانُ : « لَقَدْ كانَ جَوابُكَ ، يا أَحْمَدُ ، أَفْضَلَ جَوابٍ . وَلِهذا فَأَنْتَ أَحَقُّ بِالْأَمِيرَةِ مِنْ أَخَوَيْكَ . »

وَما إِنْ سَمِعَتْ لَيْلى حُكْمَ السُّلْطانِ ، حَتّى هَتَفَتْ قائِلَةً : « إِنَّ ما قَضَيْتَ بِهِ يا مَوْلايَ هُوَ نَفْسُ ما كُنْتُ أَتَمَنّاهُ . »

* * *

اِنْتَهَتْ شَهْرَزادُ مِنْ قِصَّتِها ، وَالْتَفَتَتْ إِلى السُّلْطانِ شَهْرَيار وَقالَتْ لَهُ : « لَدَيَّ قِصَّةٌ طَرِيفَةٌ عَنْ قَزَمٍ وَشَوْكَةِ سَمَكَةٍ . فَهَلْ تَرْغَبُ في سَماعِها ؟ »

أَجابَ السُّلْطانُ : « نَعَمْ ! أَرْجو أَنْ تُسْمِعِينِي إِيّاها . »

الْفَصْلُ التّاسِعُ

الْقَزَمُ وَ شَوْكَةُ السَّمَكَةِ

عاشَ في مَدِينَةِ كَشْغَر رَجُلٌ اسْمُهُ عَلِيّ عَبْدُ الرّازِقِ ، أَحَبَّ زَوْجَتَهُ وَأَحَبَّتْهُ . كانَ عَلِيٌّ يَمْلِكُ مَتْجَرًا صَغِيرًا لِبَيْعِ الْمَلابِسِ ، يُدِرُّ عَلَيْهِ ما يَفِي بِحاجاتِ مَعِيشَتِهِ وَيَزِيدُ . وَذاتَ يَوْمٍ ، بَيْنَما كانَ يَجْلِسُ في مَتْجَرِهِ وَقَفَ قَزَمٌ أَمامَ الْمَتْجَرِ ، وَأَخَذَ يُغَنِّي وَيَرْوِي الطَّرائِفَ . فَطَرِبَ عَلِيٌّ وَضَحِكَ وَخَرَجَ مِنْ مَتْجَرِهِ وَقالَ لِلْقَزَمِ :

« أَيُّها الْقَزَمُ ، لَقَدْ أَعْجَبَتْنِي أَغانِيكَ وَطَرائِفُكَ ، وَامْرَأَتِي تَهْوى الْأَغانِيَ وَسَماعَ الطَّرِيفِ ، فَتَعالَ مَعِي ظُهْرَ الْيَوْمِ إِلى بَيْتِي . وَسَآخُذُ مَعِي سَمَكَةً تَكُونُ لَنا وَجْبَةً شَهِيَّةً . »

ما إِنِ انْتَصَفَ النَّهارُ ، حَتّى اصْطَحَبَ عَلِيٌّ الْقَزَمَ إِلى بَيْتِهِ . أَعَدَّتِ الزَّوْجَةُ الطَّعامَ فَأَقْبَلَ الْقَزَمُ عَلى الْتِهامِ السَّمَكَةِ بِنَهَمٍ ، فَعَلِقَتْ شَوْكَةٌ في حَلْقِهِ ، وَازْرَقَّ وَجْهُهُ ، وَعَجَزَ عَنِ النُّطْقِ . اِسْتَبَدَّ الْخَوْفُ بِعَلِيٍّ وَزَوْجَتِهِ ، قالَتِ الزَّوْجَةُ : « إِذا ماتَ الْقَزَمُ في بَيْتِنا تَعَيَّنَ عَلَيْنا إِبْلاغُ الشُّرْطَةِ ، وَالْمُثُولُ أَمامَ الْقاضِي لِلْإِدْلاءِ بِشَهادَتِنا ، وَقَدْ يُدِينُنا الْقاضِي لِأَنَّنا تَسَبَّبْنا في وَفاتِهِ . عَلَيْنا أَنْ نَتَدَبَّرَ الْأَمْرَ قَبْلَ فَواتِ الْأَوانِ . »

أَجابَها زَوْجُها : « لَيْسَ أَمامَنا إِلّا أَنْ نَنْقُلَهُ إِلى بَيْتِ الطَّبِيبِ وَنَتْرُكَهُ عِنْدَ الْبابِ وَنَهْرُبَ . »

وَعِنْدَما خَلَتِ الطَّرِيقُ مِنَ النّاسِ حَمَلا الْقَزَمَ إِلى عِيادَةِ الطَّبِيبِ وَصَعِدا

سُلَّمًا مِنْ عَشْرِ دَرَجاتٍ يَنْتَهي إلى بابِ العِيادَةِ ، وَأَوْقَفَهُ مُتَّكِئًا عَلى الْبابِ ، وَعادَ مِنْ حَيْثُ أَتى . وَعِنْدَما فَتَحَ الطَّبيبُ الْبابَ ، سَقَطَ الْقَزَمُ ، وَسَقَطَ مَعَهُ الطَّبيبُ ، وَتَدَحْرَجا فَوْقَ دَرَجاتِ السُّلَّمِ حَتّى أَسْفَلِهِ .

نَهَضَ الطَّبيبُ وَنَظَرَ إلى الْقَزَمِ وَقالَ : « يا إِلٰهي ! إِنَّهُ مَيِّتٌ ، وَسَيَتَّهِمُونَني بِأَنِّي دَفَعْتُ بِهِ مِنْ أَعْلى السُّلَّمِ وَتَسَبَّبْتُ في وَفاتِهِ . وَسَتُلْقي الشُّرْطَةُ الْقَبْضَ عَلَيَّ وَتُقَدِّمُني لِلْمُحاكَمَةِ أَمامَ الْقاضي ، الَّذي سَيَحْكُمُ عَلَيَّ لِأَنِّي قَتَلْتُهُ .



وَلِهٰذا عَلَيَّ نَقْلُ الْجُثَّةِ وَإِخْفاؤُها عَنِ الْعُيونِ في مَكانٍ بَعيدٍ عَنْ عِيادَتي . »

كانَ يُقيمُ في الْبَيْتِ الْمُقابِلِ لِبَيْتِ الطَّبيبِ خَبّازٌ يُدْعى عَبْدَ اللهِ . وَقَدْ وَجَدَ الطَّبيبُ فِكْرَةً تُخَلِّصُهُ مِنْ مَسْؤُولِيَّةِ ما حَدَثَ ، إِذْ قالَ لِنَفْسِهِ : عَبْدُ اللهِ لَيْسَ في بَيْتِهِ ، فَالْأَضْواءُ مُطْفَأَةٌ . وَهُوَ في هٰذا الْوَقْتِ يَعْمَلُ في مَخْبَزِهِ عادَةً . سَأَنْقُلُ الْجُثَّةَ إلى بَيْتِ عَبْدِ اللهِ .

حَمَلَ الْجُثَّةَ ، وَعَبَرَ الشّارِعَ إلى بَيْتِ عَبْدِ اللهِ ، وَأَجْلَسَها عَلى كُرْسِيٍّ مُطَمْئِنًا نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ : عِنْدَما يَعودُ عَبْدُ اللهِ في وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنَ اللَّيْلِ ، سَيَظُنُّهُ لِصًّا جاءَ لِسَرِقَةِ الْمَنْزِلِ . وَسَأَضَعُ أَمامَهُ قَليلًا مِنَ الْخُبْزِ .

نَفَّذَ الطَّبيبُ الْخُطَّةَ الَّتي رَسَمَها ، وَعادَ مُسْرِعًا إلى عِيادَتِهِ .

عِنْدَما عادَ عَبْدُ اللهِ إلى بَيْتِهِ ، وَجَدَ الْقَزَمَ جالِسًا إلى الْمائِدَةِ وَالْخُبْزُ أَمامَهُ . فَلَمْ يَتَمالَكْ نَفْسَهُ مِنَ الضَّحِكِ وَصاحَ بِهِ : « إِذًا أَنْتَ اللِّصُّ الَّذي اعْتادَ سَرِقَةَ خُبْزي . » وَضَرَبَهُ بِقُوَّةٍ ، فَأَطاحَ بِهِ عَنِ الْكُرْسِيِّ . ثُمَّ انْتَظَرَ أَنْ يَنْهَضَ الْقَزَمُ لٰكِنَّهُ لَمْ يَتَحَرَّكْ . فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ وَقالَ : « يا إِلٰهي ! إِنَّهُ مَيِّتٌ . » فَانْتابَهُ خَوْفٌ شَديدٌ ، وَأَخَذَ يُؤَنِّبُ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ : إِنَّ مِنْ حَقّي أَنْ أَضْرِبَهُ ، وَلٰكِنْ لَيْسَ مِنْ حَقّي أَنْ أَقْتُلَهُ . يَجِبُ أَنْ أَحْمِلَهُ إلى مَكانٍ آخَرَ ، وَإِلّا فَسَتُلْقي الشُّرْطَةُ الْقَبْضَ عَلَيَّ لِأَمْثُلَ أَمامَ الْقاضي الَّذي سَيَتَّهِمُني بِالْقَتْلِ الْمُتَعَمَّدِ . لِمَ لا أَضَعُهُ أَمامَ بَيْتِ سالِمٍ فَهُوَ رَجُلٌ ثَرِيٌّ ، يَسْهَرُ مَعَ أَصْدِقائِهِ خارِجَ بَيْتِهِ حَتّى ساعَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنَ اللَّيْلِ ؟

عادَ سالِمٌ ، فَوَجَدَ الْقَزَمَ عَلى بابِهِ ، وَاسْتَغْرَبَ وُجودَهُ في مِثْلِ تِلْكَ

السّاعةِ المُتأخِّرةِ مِنَ اللّيلِ . فَصاحَ بِهِ : « ماذا تَفعَلُ هُنا يارَجُلُ ؟ ما الّذي تُريدُهُ بِوُقوفِكَ عِنْدَ بابي ؟ تَكَلَّمْ .. أجِبْني . » وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ جَوابًا ، فَاغْتاظَ مِنْهُ وَرَكَلَهُ بِقَدَمِهِ ، فَسَقَطَ عَلى الأرْضِ بِلا حَراكٍ .

وَتَشاءُ المُصادَفَةُ أنْ يَمُرَّ شُرْطِيٌّ في الشّارِعِ نَفْسِهِ وَيَشْهَدَ ما حَدَثَ ، فَألْقى القَبْضَ عَلى سالِمٍ وَاتَّهَمَهُ بِالقَتْلِ ، وَساقَهُ إلى الشُّرْطَةِ . وَفي اليَوْمِ التّالي ، جيءَ بِسالِمٍ إلى القاضي الّذي قالَ لَهُ : « لَقَدْ عُدْتَ ، ياسالِمُ إلى بَيْتِكَ بَعْدَ مُنْتَصَفِ اللّيلِ ، وَرَكَلْتَ القَزَمَ بِقَدَمِكَ فَماتَ . وَبِناءً عَلى ذلِكَ فَقَدْ حَكَمْتُ عَلَيْكَ بِالمَوْتِ شَنْقًا . »

كانَ عَبْدُ اللهِ مِمَّنْ شَهِدوا المُحاكَمَةَ ، وَسَمِعَ الحُكْمَ بِالشَّنْقِ عَلى سالِمٍ ، فَأنَّبَهُ ضَميرُهُ لِتَأكُّدِهِ مِنْ بَراءَةِ سالِمٍ . وَقَبْلَ أنْ تَنْفَضَّ المَحْكَمَةُ اسْتَأذَنَ القاضيَ ، وَقالَ : « ياسَيِّدي القاضي ، أنا الّذي قَتَلَ القَزَمَ ، وَوَضَعَ جُثَّتَهُ أمامَ بَيْتِ سالِمٍ ، خَشْيَةَ أنْ يُلْقى القَبْضُ عَلَيَّ . إنَّ القَتيلَ لِصٌّ مُحْتَرِفٌ وَجَدْتُهُ في بَيْتي يَجْلِسُ عَلى مائِدَتي وَالخُبْزُ أمامَهُ ، فَلَمْ أتَمالَكْ نَفْسي ، مِنْ شِدَّةِ الغَضَبِ ، فَضَرَبْتُهُ وَسَقَطَ بَعْدَها مَيِّتًا . »

اِلْتَفَتَ القاضي إلى عَبْدِ اللهِ قائِلًا : « تَقولُ إنَّكَ في ساعةِ الغَضَبِ ضَرَبْتَ هٰذا القَزَمَ المِسْكينَ ، وَتَسَبَّبْتَ في مَوْتِهِ ! حَكَمْتُ عَلَيْكَ لِذلِكَ بِالمَوْتِ شَنْقًا . »

ما إنْ نَطَقَ القاضي بِالحُكْمِ ، حَتّى نَهَضَ الطَّبيبُ ، وَكانَ حاضِرًا ، وَقالَ لِلقاضي : « يافَضيلَةَ القاضي ! أنا الّذي وَضَعَ القَزَمَ في بَيْتِ عَبْدِ اللهِ ، بَعْدَ

أنْ تَدَحْرَجَ فَوْقَ سُلَّمِ عِيادَتي . وَلا يَليقُ بِشَرَفِ مِهْنَتي ، كَطَبيبٍ ، أنْ أتَهَرَّبَ مِنَ الحَقيقَةِ ، فَأنا السَّبَبُ في مَوْتِهِ . » إزاءَ هٰذا الاعْتِرافِ ، قالَ القاضي : « تَقولُ ، أيُّها الطَّبيبُ ، إنَّكَ تَسَبَّبْتَ في مَوْتِهِ . حَكَمْتُ عَلَيْكَ إذًا ، بِالمَوْتِ شَنْقًا . »

كانَ عَلِيُّ عَبْدُ الرّازِقِ في المَحْكَمَةِ ، وَسَمِعَ حُكْمَ القاضي بِشَنْقِ الطَّبيبِ . فَأبى عَلَيْهِ ضَميرُهُ الحَيُّ أنْ يُؤْخَذَ البَريءُ بِذَنْبِ المُسيءِ ، وَيُساقَ إلى حَبْلِ المِشْنَقَةِ . فَهَبَّ واقِفًا وَقالَ لِلقاضي : « ياسَيِّدي القاضي ! إنَّ مَنْ قَضَيْتَهُمْ أبْرِياءُ ، فَأنا الّذي وَضَعَ جُثَّةَ القَزَمِ أمامَ عِيادَةِ الطَّبيبِ ، بَعْدَ أنْ عَلِقَتْ في حَلْقِهِ شَوْكَةُ سَمَكَةٍ وَماتَ . إنَّ خَوْفي مِنْ مَعْرِفَةِ الشُّرْطَةِ بِمَوْتِهِ ، دَفَعَني إلى حَمْلِهِ وَوَضْعِهِ أمامَ بابِ العِيادَةِ وَالفِرارِ . » فَقالَ لَهُ القاضي :

« إنَّكَ تَعْرِفُ بِأنَّ القَزَمَ كانَ عَلى وَشْكِ المَوْتِ ، وَلٰكِنَّكَ لَمْ تَسْتَدْعِ الطَّبيبَ لإسْعافِهِ ، بَلْ تَسَبَّبْتَ في وَفاتِهِ لِذلِكَ أحْكُمُ عَلَيْكَ بِالشَّنْقِ . »

كانَ مُسْتَشارُ المَلِكِ بَيْنَ مَنْ حَضَروا المُحاكَمَةَ ، وَتَتَبَّعوا أقْوالَ المُتَّهَمينَ ، وَسَمِعوا الأحْكامَ الّتي صَدَرَتْ بِحَقِّ كُلِّ واحِدٍ مِنْهُمْ . لِذلِكَ لَمْ يَسَعْهُ إلّا أنْ يُعَقِّبَ عَلى الأحْكامِ بِقَوْلِهِ :

« وَلٰكِنَّكَ يافَضيلَةَ القاضي ، لا تَسْتَطيعُ أنْ تَحْكُمَ بِالشَّنْقِ عَلى أرْبَعَةِ رِجالٍ في آنٍ واحِدٍ . »

فَرَدَّ القاضي : « إنَّ ما تَقولُهُ ، ياسَيِّدي الوَزيرَ ، عَيْنُ الصَّوابِ ، وَلٰكِنْ مَنْ مِنَ الأرْبَعَةِ يَسْتَحِقُّ الشَّنْقَ ؟ هٰذا هُوَ السُّؤالُ الّذي لا بُدَّ مِنَ الإجابَةِ عَنْهُ . فَالمُتَّهَمُ الأوَّلُ عَلِيُّ عَبْدُ الرّازِقِ ، لَمْ يَسْتَدْعِ الطَّبيبَ لإسْعافِ القَزَمِ الّذي

كانَ مُشرِفًا على المَوتِ. وَالمُتَّهَمُ الثّاني الطَّبيبُ، نَعَمْ تَسَبَّبَ في مَوْتِهِ وَهُوَ يُحْتَضَرُ، بَعْدَ أَنْ دَحْرَجَ على سُلَّمِ عيادَتِهِ. وَالمُتَّهَمُ الثّالِثُ عَبْدُ اللهِ، ضَرَبَهُ ضَرْبَةً لَعَلَّها هِيَ الَّتي أَوْدَتْ بِحَياتِهِ. أَمّا سالِمٌ فَقَدْ رَكَلَهُ بِقَدَمِهِ، وَلَعَلَّهُ ماتَ بِسَبَبِها إِذْ لَمْ يَكُنْ فارَقَ الحَياةَ قَبْلَ رَكْلِهِ.»

* * *

هُنا تَوَقَّفَتْ شَهْرَزادُ عَنِ الكَلامِ، وَلٰكِنَّ السُّلْطانَ شَهْرَيارَ سَأَلَها: «مَنْ مِنَ الأَرْبَعَةِ حَكَمَ عَلَيْهِ القاضي بِالشَّنْقِ أَخيرًا؟»

لٰكِنَّ شَهْرَزادَ لَمْ تُجِبْهُ، بَلْ نَظَرَتْ إِلى النّافِذَةِ وَقالَتْ: «قَدِ انْبَلَجَ الصَّباحُ، وَلَنْ أَسْتَطيعَ أَنْ أُجيبَكَ عَنْ سُؤالِكَ. وَقَدْ أَكونُ في عِدادِ المَوْتى



غَدًا. فَعَلَيْكَ أَنْ تَبْحَثَ عَنْ نِهايَةِ القِصَّةِ بِنَفْسِكَ يامَوْلايَ!»

عِنْدَئِذٍ طَمْأَنَها شَهْرَيارُ عَلى حَياتِها بِيَوْمٍ آخَرَ، وَقالَ لَها: «يُمْكِنُكِ، شَهْرَزادُ، أَنْ تُسْمِعيني نِهايَةَ القِصَّةِ غَدًا.»

في اللَّيْلَةِ الثّانِيَةِ أَكْمَلَتْ شَهْرَزادُ قِصَّتَها. قالَتْ:

لَقَدْ حَدَثَ ما لَمْ يَكُنْ في الحُسْبانِ. فَقَدْ قَدِمَ إِلى المَحْكَمَةِ وَزيرُ مَلِكِ كشغر وَمَعَهُ طَبيبُ المَلِكِ. قالَ الوَزيرُ لِلْقاضي: «لَقَدْ فُقِدَ أَحَدُ خَدَمِ المَلِكِ، وَأَمَرْنا الشُّرْطَةَ بِالبَحْثِ عَنْهُ في كُلِّ مَكانٍ. لَقَدْ غادَرَ القَصْرَ البارِحَةَ، وَلَمْ يُعْثَرْ لَهُ عَلى أَثَرٍ. وَلِلْخادِمِ مَكانَةٌ لَدى المَلِكِ، فَهُوَ سَميرُهُ الَّذي يُطْرِبُهُ بِدُعابَتِهِ، وَيُدْخِلُ السُّرورَ إِلى قَلْبِهِ بِما يَرْويهِ مِنْ طَرائِفِ الحِكاياتِ. وَالمَلِكُ الآنَ في غَضَبٍ شَديدٍ، وَهُوَ مُصِرٌّ عَلى ضَرورَةِ الإِسْراعِ في العُثورِ عَلَيْهِ.»

رَدَّ القاضي عَلى الوَزيرِ قائِلًا: «إِنَّ المَدينَةَ تَعِجُّ بِمِئاتِ المُغَنّينَ وَرُواةِ القِصَصِ. كَيْفَ نَسْتَطيعُ العُثورَ عَلى رَجُلِ المَلِكِ مِنْ بَيْنِ المِئاتِ؟» فَقاطَعَهُ الوَزيرُ قائِلًا: «وَلٰكِنَّهُمْ لَيْسوا جَميعًا أَقْزامًا.»

شَعَرَ القاضي بِالارْتِياحِ، وَسَأَلَ الوَزيرَ: «تَقولُ، ياسِيادَةَ الوَزيرِ إِنَّهُ قَزَمٌ؟ إِذا دَخَلْتَ الغُرْفَةَ المُجاوِرَةَ، فَقَدْ تَراهُ.»

وَما إِنْ دَخَلَ الوَزيرُ الغُرْفَةَ حَتّى صاحَ: «إِنَّهُ الشَّخْصُ الَّذي نَبْحَثُ عَنْهُ.» وَلَمّا سَأَلَ عَنْ سَبَبِ مَوْتِهِ، أَجابَ القاضي: «إِنَّ شَوْكَةَ سَمَكَةٍ

عَلِقَتْ فِي حَلْقِهِ وَأَوْدَتْ بِحَيَاتِهِ. وَبِذَلِكَ أَحْكُمُ عَلَيْهِ بِالشَّنْقِ وَأُبَرِّئُ سَاحَةَ الآخَرِينَ؛ فَالشَّوْكَةُ هِيَ قَاتِلَةُ الْقَزَمِ. وَلَكِنْ قَبْلَ تَنْفِيذِ الْحُكْمِ، أُرِيدُ أَنْ أَرَى الشَّوْكَةَ لِأَتَأَكَّدَ مِنْ صِدْقِ عَمِّي عَبْدِ الرَّازِقِ.»

فَتَحَ الطَّبِيبُ فَمَ الْقَزَمِ وَقَالَ: «أُبَشِّرُكُمْ بِأَنَّ الْقَزَمَ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ، وَسَيَعُودُ سَلِيمًا عِنْدَ إِخْرَاجِ الشَّوْكَةِ مِنْ حَلْقِهِ.»

أَخْرَجَ الطَّبِيبُ أَدَاةً مِنْ صُنْدُوقِ أَدَوَاتِهِ، وَفَتَحَ فَمَ الْقَزَمِ وَأَخْرَجَ الشَّوْكَةَ. وَمَا هِيَ إِلَّا لَحَظَاتٌ حَتَّى فَتَحَ الْقَزَمُ عَيْنَيْهِ، وَاسْتَعَادَ وَعْيَهُ، وَنَهَضَ عَلَى قَدَمَيْهِ وَعَادَ إِلَى الْقَصْرِ. وَسُرَّ الْمَلِكُ مِنَ الطَّبِيبِ، وَكَافَأَهُ بِخَمْسِينَ دِينَارًا ذَهَبِيًّا.

مَا كَادَتْ شَهْرَزَادُ تَنْتَهِي مِنْ حِكَايَةِ الْقَزَمِ حَتَّى قَالَتْ: «لَقَدْ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ، وَلَنْ يَتَّسِعَ لِي الْوَقْتُ لِأَقُصَّ عَلَى مَسَامِعِكَ، أَيُّهَا السُّلْطَانُ، قِصَّةً مِنْ أَمْتَعِ الْقِصَصِ الَّتِي أَعْرِفُهَا. إِنَّهَا قِصَّةُ (عَلَاءِ الدِّينِ وَالْمِصْبَاحِ السِّحْرِيِّ). قَدْ تَسْتَطِيعُ أُخْتِي دُنْيَازَادُ أَنْ تَقُصَّهَا عَلَيْكَ.» وَلَكِنَّ دُنْيَازَادَ اعْتَذَرَتْ لِأَنَّهَا قَدْ نَسِيَتْهَا. فَأَمَرَ السُّلْطَانُ شَهْرَزَادَ أَنْ تَقُصَّهَا عَلَيْهِ فِي الْيَوْمِ التَّالِي.

الْفَصْلُ الْعَاشِرُ

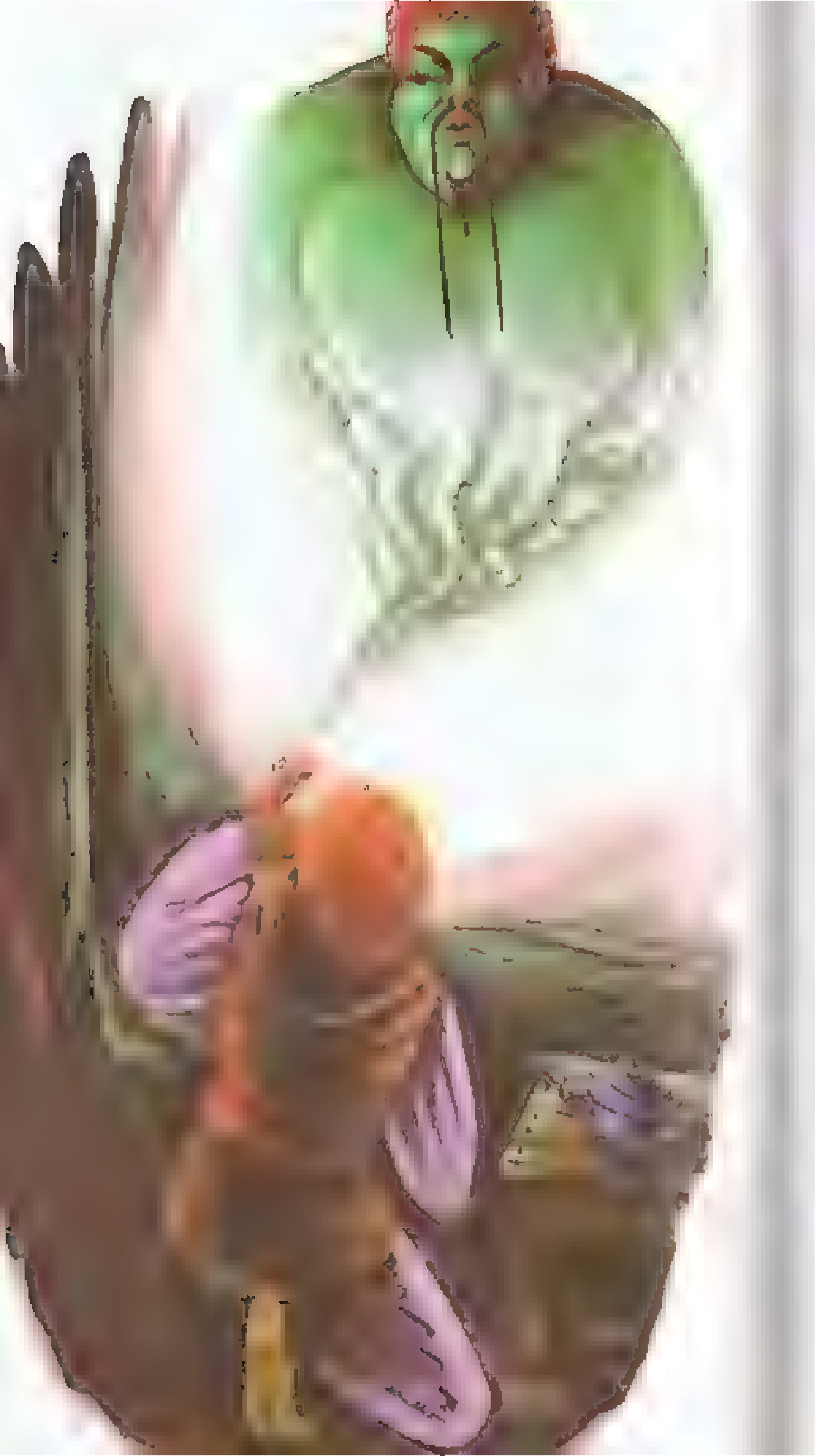
عَلَاءُ الدِّينِ وَ الْمِصْبَاحُ السِّحْرِيُّ

فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ كَانَ يَعِيشُ فِي أَحَدِ الْبُلْدَانِ الْإِفْرِيقِيَّةِ سَاحِرٌ اسْمُهُ مَنْصُور، اتَّفَقَ أَنْ قَرَأَ فِي أَحَدِ كُتُبِ السِّحْرِ عَنْ مِصْبَاحٍ سِحْرِيٍّ مَدْفُونٍ فِي بِلَادِ الصِّينِ. وَفِي ذَلِكَ الزَّمَانِ أَيْضًا كَانَ يَعِيشُ فِي الصِّينِ غُلَامٌ فَقِيرٌ، يَسْكُنُ مَعَ وَالِدَتِهِ فِي كُوخٍ. وَكَانَ الْغُلَامُ وَوَالِدَتُهُ مِنَ الْفَقْرِ بِحَيْثُ لَمْ يَكُونَا يَجِدَانِ أَحْيَانًا طَعَامًا. وَلَمَّا سَاءَتْ حَالُهُمَا، قَالَتِ الْأُمُّ لِوَلَدِهَا: «اذْهَبْ، يَا عَلَاءَ الدِّينِ، إِلَى الْحُقُولِ وَاجْمَعِ الْأَزْهَارَ وَبِعْهَا لِنَشْتَرِيَ بِثَمَنِهَا مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ طَعَامٍ.»

ذَهَبَ عَلَاءُ الدِّينِ إِلَى الْحُقُولِ يَجْمَعُ زَهْرَةً مِنْ هُنَا وَأُخْرَى مِنْ هُنَاكَ، إِلَى أَنْ سَاقَتْهُ قَدَمَاهُ إِلَى الْحَقْلِ الَّذِي دُفِنَ فِيهِ الْمِصْبَاحُ السِّحْرِيُّ. كَانَ الْمِصْبَاحُ مَدْفُونًا فِي سِرْدَابٍ تُغَطِّيهِ الْحَشَائِشُ. وَكَانَ السَّاحِرُ الْإِفْرِيقِيُّ قَدْ عَرَفَ الطَّرِيقَ إِلَيْهِ وَأَزَاحَ الْحَشَائِشَ عَنْهُ. وَبَيْنَمَا كَانَ يَنْظُرُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً رَأَى عَلَاءَ الدِّينِ يَجْمَعُ الْأَزْهَارَ، فَدَعَاهُ وَتَعَرَّفَ إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ:

«يَا عَلَاءَ الدِّينِ، أَرْجُو أَنْ تُسْدِيَ إِلَيَّ خِدْمَةً، فَفِي أَسْفَلِ السِّرْدَابِ مِصْبَاحٌ يُهِمُّنِي الْحُصُولُ عَلَيْهِ. وَكَمَا تَرَى، فَإِنَّ الْمَدْخَلَ ضَيِّقٌ لَا يَتَّسِعُ لِي وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا أَزْعَجْتُكَ. أَلَا تَنْزِلُ وَتَجِيئُنِي بِالْمِصْبَاحِ؟ إِلَيْكَ هَذَا الْخَاتَمَ فَالسِّرْدَابُ قَدْ لَا يَكُونُ آمِنًا، وَقَدْ يَظْهَرُ جِنِّيٌّ وَيُحَاوِلُ قَتْلَكَ، وَلَكِنَّ الْخَاتَمَ سَيَجْعَلُكَ بِمَأْمَنٍ مِنْ شَرِّهِ.»

نَزَلَ عَلَاءُ الدِّينِ السِّرْدَابَ، وَعِنْدَ نِهَايَتِهِ رَأَى حُجْرَةً صَغِيرَةً، تَتَوَسَّطُهَا



مِضْدَةٌ فَوْقَهَا الْمِصْباحُ. ثُمَّ يَتَوانَ عَلاءُ الدِّينِ عَنْ حَمْلِ الْمِصْباحِ وَالصُّعودِ فِي السِّرْدابِ. وَلٰكِنَّهُ وَجَدَ الْبابَ مُغْلَقًا. فَنادَى السّاحِرَ غَيْرَ أَنَّ السّاحِرَ لَمْ يَفْتَحْ إِلّا جانِبًا ضَيِّقًا مِنَ الْبابِ، وَطَلَبَ مِنْ عَلاءِ الدِّينِ أَنْ يُعْطِيَهُ الْمِصْباحَ قَبْلَ أَنْ يَفْتَحَ الْبابَ بِأَكْمَلِهِ. عِنْدَئِذٍ شَكَّ عَلاءُ الدِّينِ في نِيَّةِ السّاحِرِ، وَقالَ لِنَفْسِهِ: إِنِّي لا أَميلُ إِلى هٰذا الرَّجُلِ. وَقَدْ لا يُخْرِجُني مِنَ السِّرْدابِ إِذا أَنا أَعْطَيْتُهُ الْمِصْباحَ.

وَلِلْمَرَّةِ الثّانِيَةِ سَأَلَهُ عَلاءُ الدِّينِ أَنْ يَفْتَحَ لَهُ الْبابَ لِيَخْرُجَ وَيُسَلِّمَهُ الْمِصْباحَ. وَلٰكِنَّ السّاحِرَ بَقِيَ مُصِرًّا عَلى أَنْ يَأْخُذَ الْمِصْباحَ أَوَّلًا. وَكانَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ قائِلًا: «إِنْ أَبْقَيْتُهُ في السِّرْدابِ اللَّيْلَةَ بِطولِها، فَلابُدَّ أَنْ يَمْتَثِلَ بِطَلَبي غَدًا.»

عادَ عَلاءُ الدِّينِ إِلى الْحُجْرَةِ الصَّغيرَةِ يَقْضي لَيْلَتَهُ فيها، وَلٰكِنَّهُ، لِكَثْرَةِ ما انْتابَهُ مِنَ الْمَخاوِفِ وَالْهَواجِسِ، لَمْ يَجِدْ إِلى النَّوْمِ سَبيلًا. فَالسّاحِرُ سَيِّئُ النِّيَّةِ، وَلَيْسَ مِنَ الْمُسْتَبْعَدِ أَنْ يُبْقِيَهُ في السِّرْدابِ إِلى أَنْ يَموتَ. سَاءَلَ عَلاءُ الدِّينِ نَفْسَهُ: ما السَّبيلُ إِلى الْخُروجِ مِنَ الْمَأْزِقِ؟ إِنَّ والِدَتي تَجْهَلُ مَكاني، وَقَدْ تَذْهَبُ بِها الْمَخاوِفُ فَتَحْسَبُني مِنَ الْأَمْواتِ. لَوْ قُدِّرَ لِي الْخُروجُ مِنَ السِّرْدابِ، سَأُعْطي أُمّي هٰذا الْخاتَمَ الْجَميلَ تَبيعُهُ وَتَشْتَري بِثَمَنِهِ طَعامًا، كَما يُمْكِنُ الْإِفادَةُ مِنْ بَيْعِ هٰذا الْمِصْباحِ الْقَديمِ أَيْضًا

وَسْطَ هٰذِهِ الْأَفْكارِ، تَذَكَّرَ الْخاتَمَ فَحَكَّهُ، فَإِذا بِجِنِّيٍّ يَنْتَصِبُ أَمامَهُ قائِلًا: «لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ، جِنِّيُّ الْخاتَمِ بَيْنَ يَدَيْكَ!»

قالَ لَهُ علاءُ الدِّينِ : « أَخْرِجْني مِنَ السِّرْدابِ ، وَاذْهَبْ بي إِلى أُمّي . » فَلَمْ يَشْعُرْ إِلّا وَهُوَ أَمامَ بَيْتِهِ . وَكَمْ كانَتْ فَرْحَةُ والِدَتِهِ كَبيرَةً ، فَضَمَّتْهُ إِلى صَدْرِها وَسَأَلَتْهُ : « أَيْنَ كُنْتَ ، يا بُنَيَّ ؟ لَقَدْ شُغِلَ بالي عَلَيْكَ . وَلٰكِنْ ، لِمَ لَمْ تَجْمَعْ أَزْهارًا نَبيعُها وَنَشْتَري بِثَمَنِها طَعامًا ؟ »

أَسْرَعَ عَلاءُ الدِّينِ وَأَعْطاها الْمِصْباحَ لِتَبيعَهُ ، إِلّا أَنَّها قالَتْ لَهُ : « سَيُباعُ هٰذا الْمِصْباحُ الْمُتَّسِخُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ، وَلٰكِنْ ، لَوْ نَظَّفْتُ ما عَلِقَ بِهِ مِنْ أَوْساخٍ ، لَبيعَ بِثَمَنٍ أَكْبَرَ . »

ما إِنْ أَخَذَتْ في تَنْظيفِهِ حَتّى انْتَصَبَ جِنِّيٌّ أَمامَها ، فَصَرَخَتْ وَسَأَلَتْهُ : « مَنْ تَكونُ أَيُّها الْمَخْلوقُ ؟ »

أَجابَها : « لَبَّيْكِ ، لَبَّيْكِ ، جِنِّيُّ الْمِصْباحِ بَيْنَ يَدَيْكِ ! »

قالَ لَهُ عَلاءُ الدِّينِ : « جِئْنا بِطَعامٍ نَأْكُلُهُ . »

وَما هِيَ إِلّا لَحَظاتٌ حَتّى وَجَدا أَمامَهُما مائِدَةً عامِرَةً بِمُخْتَلِفِ صُنوفِ الطَّعامِ الشَّهِيَّةِ تَكْفيهِما يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاثَةً ، فَأَكَلا ما لَذَّ وَطابَ ، وَحَمِدا رَبَّ الْعِبادِ .

ذاتَ صَباحٍ مَرَّ بِعَلاءِ الدِّينِ مَوْكِبُ الْأَميرَةِ بَدْرِ الْبُدورِ ، فَأَعْجَبَهُ حُسْنُها وَجَمالُها ، وَتَمَنّاها زَوْجَةً لَهُ فَعادَ إِلى الْبَيْتِ ، وَحَكَّ الْمِصْباحَ وَقالَ لِلْجِنِّيِّ : « أُريدُ أَنْ أَتَزَوَّجَ الْأَميرَةَ . فَابْنِ لي بَيْتًا فَخْمًا أَنيقًا ، وَأْتِني بِمَلابِسَ فاخِرَةٍ وَجَواهِرَ ثَمينَةٍ ، وَأَمْوالٍ طائِلَةٍ تَجْعَلُني أَغْنى رَجُلٍ في الْمَدينَةِ . افْعَلْ

ما أَمَرْتُ بِهِ . » وَاسْتَجابَ الْجِنِّيُّ لِطَلَبِهِ .

في الْيَوْمِ التّالي قَصَدَ عَلاءُ الدِّينِ الْقَصْرَ الْمَلَكِيَّ ، وَمَثَلَ أَمامَ الْمَلِكِ ، بَعْدَ أَنْ حَيّاهُ خاصَّةً قائِلًا : « يا مَوْلايَ ! إِنّي أَغْنى رَجُلٍ في الْمَدينَةِ ، وَقَدْ جِئْتُكَ طالِبًا يَدَ ابْنَتِكَ الْأَميرَةِ بَدْرِ الْبُدورِ . » وَفي الْقَصْرِ الْتَقى الْأَميرَةَ ، وَتَحَدَّثَ مَعَها ، فَأُعْجِبَتْ بِهِ . وَبِمُرورِ الْأَيّامِ ، وَكَثْرَةِ اللِّقاءاتِ ، ازْدادَ إِعْجابُها بِهِ ، وَرَأَتْ فيهِ الزَّوْجَ الصّالِحَ . فَذَهَبَتْ إِلى والِدِها ، وَقالَتْ لَهُ : « لَقَدْ أُعْجِبْتُ بِعَلاءِ الدِّينِ ، وَأَرْغَبُ في الزَّواجِ بِهِ ، وَإِنّي عَلى ثِقَةٍ بِأَنَّ حَياتَنا سَتَكونُ سَعيدَةً . »

وَزُفَّتِ الْأَميرَةُ إِلى عَلاءِ الدِّينِ ، وَعاشَ في أَفْخَمِ بَيْتٍ في الْمَدينَةِ .

* * *

تَوَقَّفَتْ شَهْرَزادُ عَنِ الْكَلامِ ، وَأَطَلَّتْ بِرَأْسِها مِنَ النّافِذَةِ لِتَتَحَقَّقَ مِنْ شُروقِ الشَّمْسِ ، وَلٰكِنَّ السُّلْطانَ طَلَبَ مِنْها أَنْ تُكْمِلَ قِصَّتَها .

قالَ لَها : « لا أَظُنُّ أَنَّ هٰذِهِ نِهايَةُ الْقِصَّةِ ، وَقَلْبي يُحَدِّثُني بِأَنَّهُما لَنْ يَسْتَمِرّا في سَعادَتِهِما . » لٰكِنَّ شَهْرَزادَ ، وَقَدْ شاهَدَتْ تَباشيرَ الصَّباحِ ، قالَتْ : « أَلا أَتَوَقَّفُ عَنِ الْكَلامِ عِنْدَ شُروقِ الشَّمْسِ ؟ » فَقاطَعَها السُّلْطانُ قائِلًا : « لا ، لا يا شَهْرَزادُ ، يَجِبُ أَنْ تَسْتَمِرّي حَتّى نِهايَةِ الْقِصَّةِ . » فَاسْتَأْنَفَتْ كَلامَها وَقالَتْ :

عِنْدَما يَئِسَ السّاحِرُ مِنَ الِانْتِظارِ ، أَغْلَقَ بابَ السِّرْدابِ ، وَعادَ إِلى بَلَدِهِ في إِفْريقِيَةَ . وَذاتَ يَوْمٍ ، قَدِمَ إِلَيْهِ مِنْ بِلادِ الصّينِ زائِرٌ ، فَسَأَلَهُ السّاحِرُ : « ما

«ومِاذا ؟ ماذا سَتَجِدُ مِنْ أَخْبارٍ في الصِّينِ ؟» فَأَجابَهُ الرَّجُلُ : «إِنَّ شابًّا يُدْعَى عَلاءَ الدِّينِ تَزَوَّجَ مِنَ الأَميرَةِ بَدْرِ البُدورِ وَهُوَ يَعيشُ مَعَها في قَصْرٍ ضَخْمٍ ، بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَ مِنْ كِبارِ الأَثْرِياءِ .»

ما إِنْ سَمِعَ السّاحِرُ ما قالَ الرَّجُلُ حَتَّى أَخَذَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ : آهٍ ، عِنْدَما عُدْتُ في صَباحِ اليَوْمِ التّالي إِلى بابِ السِّرْدابِ ، نادَيْتُ عَلاءَ الدِّينِ ، وَلٰكِنْ لَمْ يُجِبْني أَحَدٌ ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ ماتَ فيهِ . وَهٰأَنَذا أَسْمَعُ أَنَّهُ لَمْ يَمُتْ ، بَلْ خَرَجَ مِنْهُ وَمَعَهُ المِصْباحُ ، وَاسْتَغَلَّ الجِنِّيَّ في تَحْقيقِ مَآرِبِهِ . لا بُدَّ مِنَ الذَّهابِ إِلى الصِّينِ وَالاسْتيلاءِ عَلى المِصْباحِ .

سافَرَ السّاحِرُ إِلى الصِّينِ يَحْمِلُ مَعَهُ مَصابيحَ جَديدَةً شَبيهَةً بِمِصْباحِ عَلاءِ الدِّينِ ، وَاخْتَبَأَ في مَكانٍ قَريبٍ مِنْ قَصْرِ عَلاءِ الدِّينِ ، وَظَلَّ يَتَرَقَّبُ خُروجَهُ . وَعِنْدَما خَرَجَ عَلاءُ الدِّينِ دَخَلَ السّاحِرُ القَصْرَ وَقالَ لِلأَميرَةِ : «أَيَّتُها الأَميرَةُ لَدَيَّ مَصابيحُ جَديدَةٌ تَليقُ بِقَصْرِكُمْ ، وَإِنّي عَلى اسْتِعْدادٍ لإِعْطائِكُمُ الجَديدَةَ بَدَلَ القَديمَةِ الَّتي عِنْدَكُمْ .»

فَأَجابَتْهُ الأَميرَةُ : «لَيْسَ لَدَيْنا مَصابيحُ قَديمَةٌ ، فَالبَيْتُ جَديدٌ وَمَصابيحُهُ جَديدَةٌ .» وَلٰكِنَّ السّاحِرَ لَمْ يَيْأَسْ بَلْ قالَ لَها : «أَلَيْسَ عِنْدَكُمْ مِصْباحٌ قَديمٌ جِدًّا ؟» فَتَذَكَّرَتْ مِصْباحَ عَلاءِ الدِّينِ ، وَأَسْرَعَتْ بِإِحْضارِهِ .

أَخَذَ السّاحِرُ المِصْباحَ وَحَكَّهُ ، فَانْتَصَبَ الجِنِّيُّ أَمامَهُ بِانْتِظارِ أَوامِرِهِ . عِنْدَئِذٍ قالَ لَهُ السّاحِرُ : «انْقُلْ هٰذا البَيْتَ وَمَنْ فيهِ إِلى إِفْريقيَةَ .» فَفَعَلَ الجِنِّيُّ ما أَمَرَهُ بِهِ .



وَعِنْدَ ٱلظَّهِيرةِ ، عادَ عَلاءُ ٱلدِّينِ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ أَثَرًا لِلْبَيْتِ أَوْ ساكِنِيهِ ، فَتَأَلَّمَ كَثيرًا ، وَتَساءَلَ عَمَّا يَفْعَلُ . وَتَذَكَّرَ ٱلخاتَمَ ، وَحَكَّهُ ، وَإِذا بِالجِنِّيِّ أَمامَهُ فَقالَ لَهُ : « لَقَدْ جاءَ مَنِ ٱسْتَوْلى عَلى ٱلمِصْباحِ ، فَأَيْنَ ٱلبَيْتُ ؟ وَأَيْنَ ٱلأَميرةُ ؟ وَهَلْ تَسْتَطيعُ إِعادَتَهُما لي ؟ »

أَجابَهُ ٱلجِنِّيُّ : « إِنَّ ٱلبَيْتَ وَٱلأَميرةَ في إِفْريقيةَ ، وَلٰكِنِّي لا أَسْتَطيعُ إِعادَتَهُما ، لِأَنَّ جِنِّيَّ ٱلمِصْباحِ أَقْوى مِنّي وَأَعْظَمُ ، غَيْرَ أَنِّي قادِرٌ عَلى أَنْ أَنْقُلَكَ إِلى إِفْريقيةَ . »

وَلَمّا وَصَلَ إِلى إِفْريقيةَ رَأى ٱلبَيْتَ ، ثُمَّ ٱنْتَظَرَ خُروجَ ٱلسّاحِرِ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ هُوَ . وما إِنْ رَأَتْهُ ٱلأَميرةُ حَتّى تَهَلَّلَ وَجْهُها وَقالَتْ لَهُ : « لَقَدْ كُنْتُ واثِقةً مِنْ مَجيئِكَ لِإِنْقاذي . قُلْ لي ، ماذا عَلَيْنا أَنْ نَفْعَلَ ؟ »

رَدَّ عَلَيْها عَلاءُ ٱلدِّينِ : « أَيْنَ ٱلمِصْباحُ ؟ يَجِبُ أَنْ نَحْصُلَ عَلَيْهِ في ٱلحالِ . »

قالَتْ لَهُ ٱلأَميرةُ : « إِنَّ ٱلسّاحِرَ يَحْمِلُهُ مَعَهُ لَيْلًا وَنَهارًا ، وَلا يُفارِقُهُ أَبَدًا . » عِنْدَئِذٍ أَعْطاها عَلاءُ ٱلدِّينِ مَسْحوقًا لِتَضَعَهُ في طَعامِ ٱلسّاحِرِ ، وَٱخْتَبَأَ في مَكانٍ قَريبٍ . وَلَمّا عادَ ٱلسّاحِرُ ، جاءَتْهُ ٱلأَميرةُ بِالطَّعامِ . وَما إِنْ أَكَلَ مِنْهُ ، حَتّى ذَهَبَ في سُباتٍ عَميقٍ ، فَأَسْرَعَ عَلاءُ ٱلدِّينِ وَٱنْتَزَعَ مِنْهُ ٱلمِصْباحَ وَحَكَّهُ . ثُمَّ طَلَبَ مِنَ ٱلجِنِّيِّ أَنْ يُلْقِيَ بِالسّاحِرِ في ٱلسِّرْدابِ نَفْسِهِ ٱلَّذي حَبَسَهُ فيهِ ، وَأَنْ يُعيدَ ٱلبَيْتَ إِلى مَكانِهِ في ٱلصّينِ .

وَكَمْ كانَ سُرورُ ٱلمَلِكِ عَظيمًا عِنْدَما ٱلتَقى هُوَ وَعَلاءُ ٱلدِّينِ وَٱلأَميرةُ .

وَبَعْدَ مَوْتِ ٱلمَلِكِ ، خَلَفَهُ عَلاءُ ٱلدِّينِ عَلى ٱلعَرْشِ .

اِلْتَفَتَتْ شَهْرَزادُ إِلى ٱلسُّلْطانِ وَقالَتْ لَهُ : « بِذٰلِكَ تَنْتَهي قِصَّتي ٱلأَخيرةُ . » فَقالَ ٱلسُّلْطانُ : « قِصَّتُكِ ٱلأَخيرةُ ؟ أَلا تَعْرِفينَ قِصَصًا غَيْرَها ؟! » فَقالَتْ : « نَعَمْ أَعْرِفُ أَلْفَ قِصَّةٍ وَقِصَّةً أَوْ يَزيدُ . » وَأَبْدَتِ ٱسْتِعْدادَها أَنْ تَقُصَّ عَلَيْهِ في كُلِّ لَيْلةٍ قِصَّةً جَديدةً حَتّى نِهايةِ عُمْرِها أَوْ عُمْرِهِ .

وَمِنْ شِدَّةِ إِعْجابِ ٱلسُّلْطانِ بِالقِصَصِ ٱلطَّريفةِ ٱلَّتي سَمِعَها مِنْ شَهْرَزادَ ، عَفا عَنْها لِتَقْضِيَ بَقِيَّةَ ٱلعُمْرِ تَقُصُّ عَلَيْهِ قِصَّةً في كُلِّ لَيْلةٍ .



الحكايات اللطيفة



مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت
رقم مرجع كمبيوتر 01 C 198 601



عرب كوميكس
www.arabcomics.net